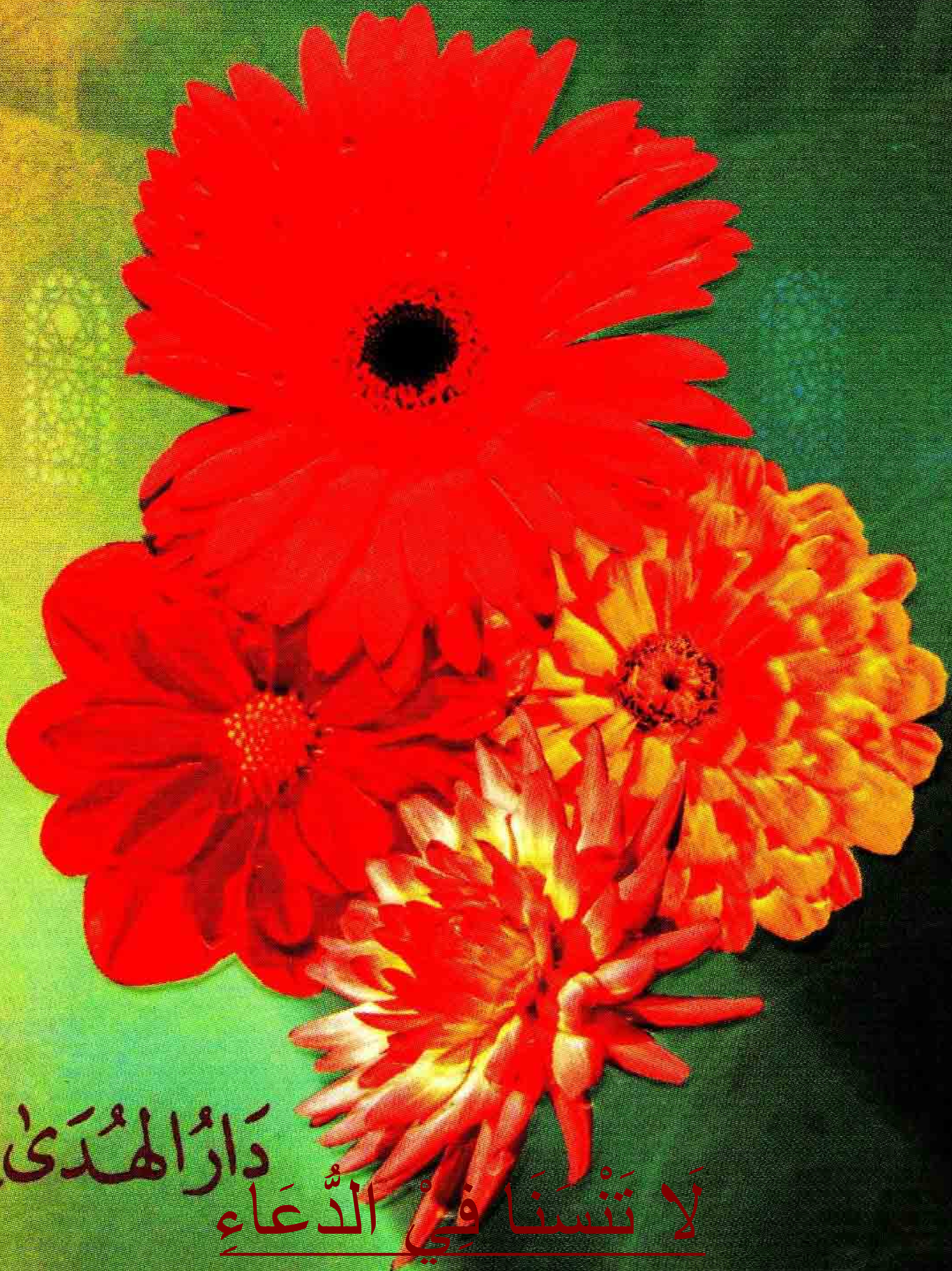
محمد موفق سليمة

بنات النبي

صلى الله عليه وسلم



دار الهدى للنشر والتوزيع

بنات النبي

صلى الله عليه وسلم

محمد موفق سليمة



دار الهدى للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم



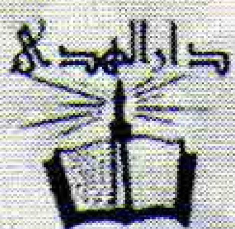
الإشراف العام والمتابعة : أحمد سعيد النحاس

المعالجة والإخراج الفني : أحمد انتظار

على أجهزة نظام الحاسوب في دار الهدى للنشر والتوزيع

الطبعة الخامسة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



دار الهدى للنشر والتوزيع

الرياض : طريق صلاح الدين الأيوبي - غرب إدارة مكافحة المخدرات

هاتف : ٤٧٩٤٥١٧ - ٤٧٧٧٥٤٤ - ناسوخ : ٤٧٧٦١٣٩ - ص ب : ٢٥٥٩٠ - الرياض : ١١٤٧٦

بريد الكتروني : daralhuda@ayna.com

البَرَاعِمُ الأربَعَة

الحياةُ حافلةٌ بالحكاياتِ

مجمـوعـةٌ مِنْ حَلَقَــاتٍ خَمْس، خفيفـةِ الظلِّ، سَهْلَـةِ الفَهْمِ، أَعِيشُ مَعَكُمْ يـا أحبَّـائي بَيْنَ سُطُـورِهـا، وهي تحكي لَنَـا عَنْ فتيـاتٍ أَرْبَع هُنَّ بنــاتُ النبيِّ الكريــمِ محمَّدٍ ﷺ..

ولقـدْ حَانَ الـوقْتُ لنعـرفَ شَيْئـاً عَنْ هَؤُلاء البنـات الطيِّباتِ، بَعْـدَ أنْ عَرَفْنَـا في المجموعَتَينِ السَّـابقتينِ من سلْسِلةِ البراعمِ أُمُوراً حلوةً ومفيدةً عَن والدِهِنَّ العظيم، وعن أُمِّهِنَّ العَظيمَةِ. وفي هَذِهِ الحَلَقَةِ سَأعْرِضُ يا أعزَّائي لمحاتٍ عن الدَّار التي حَوَتِ الأبَ والأمَّ والبناتِ الأربعَ معـاً. ثُمَّ أُخَصِّـصُ كُلَّ حَلَقَـةٍ مِنَ الحلَقـاتِ القـادمَـةِ للحَـديثِ عَنْ واحِدَةٍ مِنَ البراعِمِ التي أزْهَـرَت في بَيْتِ سيِّـدِنا رسـولِ اللهِ ﷺ، اِحْفَظُـوا الآنَ اسمَ الأبِ واسمَ الأمِّ.. أبُوهُنَّ هُـوَ النبيُّ الكريمُ محمَّـدٌ ﷺ، وأُمُّهُنَّ هي السَّيِّدَةُ خديجةُ الطَّاهِرَةُ رضيَ اللهُ عَنْهَا.

البنتُ الصَّالحةُ مكرُمةٌ

لَقَدْ تَـزَوَّجَ الرَّسُـولُ ﷺ مِنْ خَـديجةَ، ومِنْ نِسَاءٍ أُخْرَيـاتٍ، ولكنَّ خديجةَ كانت أولَ الزوجـاتِ ولم يتزوجْ غيرها وهـي على قيد الحيـاة وقَدْ كـانَ لها أمومـةُ البناتِ الأرْبَعِ اللَّواتي رَزَقَهُنَّ اللهُ لرسُولِهِ الكريمِ، ونَشَأنَ زَهراتٍ جميـلاتٍ تَقَرُّ بِهِنَّ عَينُ الأبِ بَعْـدَ أنِ اسْتَرَدَّ اللهُ مِنْـهُ (القاسمَ، وعَبْدَ الله) في صِغَرِهما ..

ولَقَدْ عـاشَتِ الأخواتُ الأرْبَعُ مع والِـدِهنَّ وَوالِدَتِهِنَّ حياةً حـافِلَةً بأعظَـمِ المعاني، وأعْمَقِ العِبَرِ ، وإنْ كُنَّـا يا أحبَّـائي قَدْ عَـرَفْنَا رسـولَ اللهِ رَجُـلاً وزَوْجاً ونبيّـاً، فَمِنَ الجَديـرِ أنْ نُتِمَّ مَعْـرُوفَنَا، ونَسْتَكْمِلَ إتْقـانَنـا للعمل بأن نَعْـرِفَ حبيبنا محمّـداً أبـاً لأربعِ بناتٍ، رَبَّـاهُنَّ أحْسَنَ تَـربيةٍ، وأنْشَأَهُنَّ أفْضَـلَ نَشْأَةٍ بَيْنَ بَناتِ مكَّـةَ والمجتمعِ العـربيِّ، بَلْ وبَيْنَ بناتِ التَّـاريخِ والأقْوامِ، ولا حَـرَجَ أنْ

نَدْرُسَ عَنهُنَّ: كَيفَ جِئْنَ إلى الحَياة؟ وكَيْفَ اسْتقْبلَتْهُنَّ الحياةُ؟ وكَيْفَ بقيت حياتُهُنَّ مثلاً أعْلى للحياةِ؟

الأمينُ المحبوبُ

نَعُـودُ مَعاً أيُّها الأَعِـزَّاء إلى بَيْتِ خديجة قَبْلَ زَواجِهـا، لنـرىٰ في دارِهـا مـالاً وفيراً لم يَكُنْ لِيَلْفِتَ نَظَـرَ السَّيِّـدَةِ الشَّريفَةِ، إنَّ قَلْبَها وَرُوحَها وعَقْلَهـا في عالمٍ آخر غَيرِ عالم المال والثَّـراءِ والتِّجارَةِ، إنَّما تُفكِّـرُ في محمّدٍ خَيرِ شبـابِ مَكَّةَ ، الذي خَرَجَ في مالها إلى الشَّـامِ مُتاجراً، وَعاد إليها بـربْحٍ لم تكُنْ لتَحْلُمَ بـه مِن قَبْلُ، ولَقَـدِ اسْتَحْوَذَ عليهـا وعَلى تَفْكيرِها بَهاءُ طَلْعَتِهِ، وَجَلالُ شَخْصِيَّتِهِ، ما بالُها قَدْ رَفَضَتْ عُروضَ رجالاتٍ مِنْ قُـرَيْش طَلَبوا منْها الزَّواجَ، وهي اليومَ تَتَصَوَّرُ نَفْسَها عـروساً لمحمَّدٍ؟ هَلْ يَرضىٰ بها وهي الأرمَلَـةُ؟ وهَلْ يَقْبَلُها وهي التي تكْبرُهُ سِنّـاً؟ وهَلْ يَتَجـرَّأُ علىٰ طَلَبِ يَـدِهـا وَهُـوَ الفَقِيرُ الَّـذي لا يَمْلكُ الثَّروَةَ؟ رَفَعَت يَـدَيْها إلى السَّماء، ودَعَتْ ربَّها أنْ يكونَ لها

الفَوْزُ بالأمينِ الطَّاهرِ..

وجــاءتْها البُشْرىٰ .. أبْشِري يـا خــديجةُ، هنيئـاً لكِ زَوجكِ الحبيبَ. وسيكــون زَواجـاً مَشْهُـوداً وَسَيَــذهَلُ الجميع في مكَّةَ من مُفاجَأةٍ غيرِ مُنْتَظَرةٍ.

قُرَّةُ عَيْنٍ لنا

وَأنْعَمَ اللهُ عَلى حبيبـهِ محمَّـدٍ ﷺ، وَلَقَـدْ عَوَّدَهُ رعـايَـةً ربَّانيَّةً، وتَرْبيةً إلهيةً، آواهُ وهُـوَ يتيمٌ في صغرِهِ، وهَداهُ إلى تَـرْكِ المعاصي ورَفْضِ عبـادَةِ الأوْثَانِ في شبـابِهِ، واليـوم يُنْعِمُ عليهِ وهُوَ في مُقْتَبَلِ سِنِّ الرُّجولَةِ بزَوْجَةٍ طالما تَمَنَّاهَا الكثيرونَ مِنْ سَادَات قُرَيْشٍ.

وحَقــاً.. لَقَـد فُـوجِئَ أَهْلُ مَكَّـةَ، وبَقِيَتِ الجمـوعُ تَتَحَدَّثُ ليـالي وأيَّامـاً عَنِ الزَّواجِ المَشْهُـودِ، والعَروسَينِ العَظيمَيْنِ خديجةَ ومحمَّدٍ.

وما أحلاهـا مِنْ حَياةٍ زَوجيَّـةٍ، بَدأتْ هـانئةً هـادئةً، يظلِّلُها الحبُّ المتبادَلُ، والمودَّةُ الخالصةُ والسَّكِينةُ الخيِّرَةُ، والرَّحْمَةُ العميمةُ.

ولَوْ سألْتُكُمْ يـا أحبَّائي، ماذا يَتَمَنَّى الزوجـان بَعْدَ أنْ يَبْدآ في بِناء أُسْرَتِهِما؟ لكانَ جَوابُكُمْ: إنَّهُما سَوْفَ يتمنَّيان أنْ يَرْزُقَهما اللهُ ولداً، وذريَّةً مِنْ بنينَ وبناتٍ.

.. إنَّكَ سميعُ الدُّعاءِ

وَهَذا ما كانَ مِنْ أمْرِ رسولِنا العظيمِ محمَّدٍ ﷺ وزوجَتِهِ العظيمةِ خَديجَةَ بِنْتِ خُوَيْلدٍ، نَظَرا إلى نُورِ السَّماءِ، وَرَفَعا أيْـدِيَهُما إلى ربِّ السَّماءِ ولَهَجَ اللِّسانـان بعباراتٍ مُفْعَمَـةٍ بالحُبِّ والتَّمنِّي الصَّادِقِ، وطَلَبا مِـنَ اللهِ سُبحانَهُ وتَعالى أنْ يَهَبَ لَهُما ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، إنَّهُ سميعُ الدُّعاءِ.

اللهُ يَسْمَعُ نداءَهُما، والملائِكَةُ تردِّدُ النِّداءَ، والكَوْنُ كُلُّهُ يَبْتَسِمُ وَيَفْرَحُ، وَالأَمَلُ يُـرَفْرِفُ فَـوْقَ جِبالِ مكَّـةَ وحَوْلَ

البيتِ الحرام: (بُشْراكُما .. لَن يَنْساكُما اللهُ تَعالىٰ أبَداً، لَقَدْ ذُقْتُما طَعْمَ الحياةِ الزَّوْجيَّةِ الهانِئَةِ، وسَوْفَ تَذُوقانِ لذَّةَ الأُبُوَّةِ، وسَتَغْدُو يا محمَّد أباً، وسَتُصْبحينَ يا خديجَةُ أُمّاً، وسَوْفَ يُثْمِرُ زَواجُكُما أيْنعَ الثَّمراتِ). ويَفْرَحُ القَلْبانِ لِفَرَحِ السَّماءِ، وَيَطْمَئِنُّ فُؤادُ الزَّوْجَيْنِ لبُشْرىٰ الملائكةِ والكَوْنِ معاً.

الفَرحَةُ تُذْهِبُ الأَلَمَ

أيْنَ أنْتِ يا أمَّ رسولِ اللهِ ﷺ؟ وأيْنَ أنْتَ يا والِدَ رسولِ اللهِ؟

إنَّكُما الآنَ بعيدانِ عَن ولدِكُما الذي تركْتُماهُ صغيراً يَذُوقُ مَرارَةَ اليُتْمِ.

وأيْنَ أنْتَ يا جَدَّ رسولِ اللهِ، إنَّكَ تَركْتَهُ أيضاً بَعْدَ أنْ بَلَغَ السَّادِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ.

الأُمُّ والأَبُ والجدُّ، غائبون لَمْ يَشْهَدُوا زَواجَ ابْنِهِم محمَّدٍ

عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، كَمْ هُـوَ جميلٌ لو قَدَّرَ اللهُ أنْ تَرَوْهُ ثَـلاَثتكم يعيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ خـديجةَ؟ وكَمْ هُوَ يَتَمَنَّى لَـوْ أَنكُمْ عَلى قَيْدِ الحياةِ تَفْرَحُـونَ مَعَهُ بما سَيَراهُ بَعْدَ أَيَّام مِنْ مَوْلُودٍ صغيرٍ هديَّةً مِنْ رَبِّ العالمين!. إنَّ مَوْلُودَهُ المُنْتَظَرَ سَيأتي إلى الدُّنْيا قريباً، وهـا هي ذي خديجةُ الحبيبةُ تَرُوحُ وَتَغْدُو في الدَّار بخُطُواتٍ أَثْقَلَهـا الحمْلُ الغالي ووَجْهُها المشْرِقُ يَتَأَلَّقُ بِسَنا السَّعادَةِ والحَنانِ.

إنَّها قَـدْ عَاشَتِ التَّجـربَـةَ عِنْدَ زَوْجِهـا السَّـابقِ قَبْلَ تَـرَمُّلِها، ولكنَّ أمـومَتَهـا وحنـانَها يختلفانِ اليَـوْمَ ، وإنَّها لتَتُوقُ إلى رُؤْيةِ ذريَّةٍ تُقْنعها وتُرْضي أُمُومَتَها.

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُمْ ﴾

إنَّ خديجةَ اليَوْمَ لسعيدَةٌ جـداً .. ومِنْ أوَّلِ ما ظَهَرَتْ بَوادِرُ الحمْلِ عليهـا اهْتَزَّ قَلْبُها فَرَحـاً، وَزَفَّتْ إلى زَوْجِها البُشْرىٰ ، وَهَنَّأَتْهُ أَنِ اسْتَجـابَ اللهُ دُعاءَهُما، وَشاءَ لَها أنْ

تَهَبَ الأَوْلَادَ لِزَوْجٍ أَحَبَّتْهُ وَتَشَرَّفَتْ وَتَكَرَّمَتْ بِالزَّوَاجِ مِنْهُ.

وإنَّها مُنْذُ الأيَّامِ الأُولى لحمْلِهَا قَدْ أذاعَتِ الخَبَرَ في أحْياءِ مَكَّةَ، وَوَزَّعَتْ صَدَقَاتِها، وَأَغْدَقَتْ عَطَاءَها عَلى ذَوِي الحاجَةِ، وكَأَنَّها أرادَتْ أَنْ تُشارِكَها مَكَّةُ كُلُّها في فَرحَتِها بِالذرِّيَّةِ والأُمومَةِ المُنْتَظَرَةِ.

وبقيتْ طُولَ شُهورٍ تِسْعَةٍ تُعِدُّ دَارَها لاسْتِقْبالِ الوليدِ . وَمَهْما قاسَتْ مِنَ آلامِ الحمْلِ، وَمَهْما سَتُقَاسِيهِ من آلامِ المخاضِ والوَضْعِ والوِلادَةِ، فَإنَّ فَرْحَتَها بالمولودِ الجديدِ سَتُزِيلُ الآلامَ كلَّها وكأنَّها لم تكُنْ، والحمدُ للهِ بُكرةً وَعَشِيّاً، الحمدُ لَهُ مع الألَمِ ومَعَ الفَرَحِ، الحمدُ لَهُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وفي كُلِّ حَرَكَةٍ أَوْ عَمَلٍ.

أَهلاً بالزَّهْرَةِ الأُولىٰ

وآن للمولُودِ أنْ يأتِي أخيراً، وواجَهَتْ خديجةُ قَسْوَةَ الأَلَمِ في شجاعَةٍ وصبرٍ ، وَوَقَفَ رسولُ اللهِ ﷺ في زاويةٍ

مِن زوايا الدَّارِ يَنْتَظِرُ اللحظَـةَ الحاسِمَةَ متلهِّفاً، وسرْعانَ ما افْتَرَّ ثَغْرُهُ الشَّريفُ عَن ابتْسَـامَـةِ الفَرَحِ والشُّكْـرِ للهِ سُبحـانَهُ وتَعـالىٰ، فهـا هي ذي صَيْحَـةُ مولـودٍ تَنْبَعِثُ، وتَتْبَعُها صَيْحاتُ ابتهاجٍ وسرورٍ .

ويدخُلُ الـرسُولُ الحبيبُ إلى غُرْفَةِ الزَّوْجَـةِ بَعْدَ قليلٍ، يَدْفعُـهُ الشَّوْقُ إلى رُؤْيَةِ طفْلَتِهِ الأولى، حَمَلَهَـا بَيْنَ ذراعَيْهِ فَرِحاً، يَنْظُـرُ إليها تارَةً، ويَنْظُرُ إلى زَوْجَتِـهِ المجهدَةِ تارةً أُخْرى، وكَأنَّهُ يقول لها: حَمْداً للهِ على سَلاَمَتِكِ يا خديجةُ، إني لأَراكِ مغتبطةً هـانئةً رغْمَ كلِّ ما أصـابَكِ مِن إجْهادٍ وأَلَمٍ، ثُمَّ اقْتَرَبَ الزَّوْجُ الحبيـبُ بالطِّفْلَةِ مِن عَيْنَـيْ زَوْجَتِهِ لتَراها مَعَـهُ، ويَخْفِقُ قَلْبُها مَـعَ خَفقَانِ قَلْبِـهِ، إنَّها شبيهةٌ بأمِّها وأبيهـا، ما أحْلاها وما أجْمَلَهـا! ولا بُدَّ لها مِن اسْمٍ جميلٍ يُناسبُها، وَطَبَعَ الأَبـوانِ قُبْلَةَ الـرِّضا والحمـدِ على رَأسِ الصَّغيرةِ الجميلةِ (زينب).

والأُنثىٰ تَسْتَحِقُّ الحياةَ

الدارُ العامرةُ تَأْخُذُ في الاتِّساعِ ، وإنَّ قَلْبَ الأمِّ وَقلْبَ الأبِ لَهُما على اسْتِعْدَادٍ أنْ يَسَعا كُلَّ مَوْلُودٍ، وأنْ يَتَّسِعا لكلِّ طِفْلٍ وطِفْلَةٍ.

أهلاً بالحبيبةِ الصَّغيرة، أهْلاً بِكِ يا زَيْنَبُ. لَقَدْ أَضفْتِ إلى البيتِ مزيداً من السَّنَا والبَهْجَةِ، فانْعَمي بحياةٍ هانئةٍ بينَ يَدَيْ أعْظَمِ أبَوَيْنِ عرَفَهما تاريخُ مكَّةَ.

لَنْ يَفْعَلَ بكِ والدُكِ كما فَعَلَ آخرون عِنْدَما قتَلُوا بناتِهِمْ وَوَأَدُوهُنَّ في التُّرابِ بَعْدَ ولادَتِهِنَّ، لا تَيْأَسي يا زَيْنَبُ، فهذا لَيْسَ مِنْ صفاتِ والدِكِ العظيم، صحيحٌ أنَّ بيئةَ مكَّةَ وما حَوْلَها قَدْ جُبلَتْ عَلى حُبِّ الذّكُورِ والبنين دُونَ الإناثِ، لكنَّ قَلْبَ أبيكِ وَفُؤادَ أُمِّكِ لَنْ يَبْخَلا عَلَيْكِ بحياةٍ رغيدةٍ، وعيشةٍ طيِّبةٍ.

إنَّكِ هبَةٌ مِنَ اللهِ، وهديَّةٌ منْهُ وهو المنْعِمُ، ولا اعْتِراضَ

على مـا يريـدهُ اللهُ وما أرادَهُ، وإنَّهُمـا لَنْ يَجْحَدا نِعمَـةَ الخالِقِ العظيمِ، والمولـودةُ الأُنْثىٰ مخلوقةٌ تَسْتَحِـقُّ الحياةَ كما يَسْتَحِقُّها المَوْلُودُ الذكَرُ .

نُورٌ على نورٍ

وتـوالَتِ الشُّهُورُ والأَيَّـامُ، لتبشِّرَ بحمْلٍ آخَـرَ وفَرْحَـةٍ أُخْرىٰ. وجـاءتِ المولودةُ الثـانيةُ (رقيَّـةُ) التي أصبحَتْ أختـاً لـزيْنَبَ، وَزادَ بها نُـورُ البيتِ. وإشْراقَـةُ الأبَـوَيْنِ، ونموُّ الأُسْـرَةِ، وَكَانَتْ بُشْـرَى خيرٍ وَبَـرَكَةٍ. ثُمَّ جاءَتْ مِنْ بَعْدِ زَيْنَبَ وَرُقيَّـةَ أُخْتٌ ثالثةٌ سمَّاها أبـواها (أُمَّ كلثوم)، وَلَمْ يَضِقْ صَـدْراهُما بها، فالأمْـرُ في هذا للهِ وَحْـدَهُ، أقْبَلا عليهـا شاكـرَيْنِ للهِ مـا وهبهما، يَسْأَلانِهِ أنْ يُنْعِمَ عليهـا بالحياة السعيدةِ مثْل أخْتَيْها، وَأَنْ يزيد الأُسْرَةَ ما يرى فيه الخيرَ لها ولأفرادِها..

وَيُقْبِلُ العامُ العـاشِرُ لزَواجِ الـرّسولِ محمَّـدٍ وخديجةَ. ليأتِيَ مَعَهُ فَرَحٌ رابعٌ بولادةِ الأُخْتِ الـرابعةِ (فاطمةَ) التي

كانَ والدُهـا وَقْتَ ولادَتِها عائداً من زيارةِ البيتِ الحرام، فَـدَخَلَ عَلى زَوْجَتِـهِ ليهنِّئَهـا بِسَـلامَـةِ الـوَضْعِ، وبـارَكَ مَوْلُودَتَهُ الرابعةَ دونَ حُزْنٍ وَلا أسىً وَلاَ يَأْسٍ، وتَطَلَّعَ إلى السَّماءِ شاكراً حامداً كلَّ الشكْرِ وكل الحمدِ مولاه.

يَهَبُ لمن يَشاءُ

رَاحَ يُواسي زوْجَتَـهُ، يَبُثُّ في نَفْسِها الطمأنينةَ والـرِّضا ويهوِّنُ عليها أمـر ولادةِ الإناث، لكنَّ خـديجةَ ابْتَسَمَتْ وَأَعْرَبَتْ لَهُ عَنْ طمأنينتِهـا وَعَدَمِ حُزْنِها وَسَأَلَتِ اللهَ مَعَهُ العنايةَ والرعايةَ للبيتِ ومن فيه إنَّهَا قَدْ رَضيتْ أنْ يكونَ محمَّدٌ زَوْجَها، فَكَيْفَ لا تَرْضىٰ أنْ تكـونَ أمّاً لبناتِ هذا الزَّوْجِ؟ الحمـدُ للهِ .. في كلِّ وَقْتٍ وَعَلى كُلِّ حَـالٍ .. وَلَهُ الشكْرُ دَوْماً..

وَلَمْ يَشَأِ اللهُ أنْ يحرمَهُما نعمـةَ البنين، فَـوَهَبَهُما غُـلامَيْنِ جميلَيْنِ: الأوَّلُ هُوَ القاسِمُ، والثَّاني عَبْدُ اللهِ ..

ولَقَدْ فَرِحَتْ خديجةُ وفرِحَ زَوْجُها بهما، ولَمْ تَعُدِ النِّساءُ في مكَّةَ تُـرَدِّدْنَ عباراتٍ عَنْ محمَّدٍ أنَّهُ أبـو البناتِ، وعَنْ خـديجةَ أنَّها أُمُّ البنـاتِ، بَـلْ أدْرَكْنَ أنَّ اللهَ الـذي وَهَبَ الـزَّوجَيْنِ بنـاتٍ قـادرٌ على أنْ يَهَبَهُما البنينَ ، وأَنَّ الـذي استجـابَ دعـاءَهُما في ذريّــةٍ طيِّبــةٍ، يستطيعُ أنْ يَجْعَلَ الذُّريَّةَ ذكوراً وإناثاً.

وبيده الأماناتُ كلُّها

ولكنَّ مشيئةَ اللهِ كـانَتْ في إبْقَاءِ البناتِ دون الـذكور، فـالشَّقيقـانِ لَمْ يعيشـا طـويـلاً، بل استردَّ اللهُ وَديعَتَيْـهِ الغاليتَيْنِ أحدهما بعد الآخر .

لقد أخَذَهُما الموتُ، وإنَّهُما ليلتقيانِ في هَذا مَعَ إبراهيمَ الصَّغيرِ الذي وَلَدَتْهُ ماريـةُ أمُّ المؤمنين بعْدَ سنواتٍ عدّة في المدينةِ المنورةِ.

وَتَبْقىٰ زَيْنَبُ وَأخَواتُها رقيَّةُ وأُمُّ كلثومٍ وَفاطمةُ، وَكُلُّهُنَّ

مِنْ خديجةَ الزوجةِ الأُولى ، وَلَقَد وَاسىٰ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالىٰ الزَّوْجَيْنِ الكريمينِ وَطَلَبَ منْهُما عَدَمَ الاهتمام لما سَيَقُولُهُ النَّاسُ، ولما سيكُونُ منْهُمْ مِنْ هُزءٍ وسُخْريَةٍ، ولئِنْ كانَ اللهُ قَد اسْتَرَدَّ ودائِعَهُ في البنين فإنَّ كُلَّ أوْلاد المؤمنين هُمْ مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ إلى يَوْمِ القيامة، وَإنَّ محمَّداً لهم بمثابَةِ الأبِ، وَزَوْجَاتِهِ بمثابة الأم..

وإنِ اعْتادَ العَربُ أنْ يُخَلِّدوا ذكْرَهُمْ بذرِّيَّتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فإنَّ ذكْرَ محمَّدٍ وخديجةَ سَيَبْقىٰ خالداً فَوْقَ جميع الذَّراري والأُسَرِ .

وَهُوَ واهِبُ النِّعَمِ

وَلَمْ يَتْرُكِ اللهُ نبيَّهُ محروماً مِنَ البنين في بَيْتِهِ، بَلْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بطفْلَينِ آخرَينِ ليسا بِوَلَدَيْهِ، لكنَّهما عاشا إلىٰ جانبِهِ فَأَغْدَقَ عَلَيْهِما مِنْ حَنانِهِ وعاطِفَتِهِ، فَهُوَ لم يَتَجَرَّدْ مِنْ حُبِّ البنين .. وأحَدُ الطِّفْلَينِ هو ابْنُ العمِّ علي بن أبي

طالبٍ، جاءَ إلى بيْتِ الرَّسُولِ تخْفيفاً عَنْ أبي طالبٍ ذَوِي العيالِ، وثانيهما هُوَ زَيْدُ بْنُ حارثَةَ الغُلامُ الذي ضَاعَ عَنْ أبوَيْهِ فحَمَلَهُ مَنْ رَآهُ إلى مكَّةَ، وكَأنَّما ساقَهُ القدَرُ لكَيْ يَعيشَ مَعَ عليٍّ في رعايةِ الرَّسُولِ الكريم.. ولَقَدْ وَجدَ رسولُ اللهِ في ابنِ عمِّهِ عليٍّ وغُلامِهِ زيدٍ كرَماً منَ اللهِ، ولُطْفاً ربَّانياً، حَتَّى لا يحرِمَه مِنْ حُبِّ البنين..

وَهذا لا يعني أنَّهُ لمْ يَعُدْ يذْكُرُ مَنْ فقَدَهُمْ مِنْ أوْلادِهِ البنين، ولكنَّ المؤمِنَ المسلمَ يا أحبَّتي يَرْضَخُ لمشيئةِ اللهِ، وَيَصْبِرُ على ما يصيبُهُ، وَيَرْضىٰ بما قَسَمَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ في الذُّرِّيَّةِ، وإنَّ الرَّسُولَ قَدْ حَزِنَ ولَمْ يملكْ دُموعَهُ أنْ تَنْهَمِرَ أيَّامَ مَوْتِ القاسِمِ وَعَبْدِ اللهِ وإبراهيمَ، إلَّا أنَّهُ لَمْ يَعْتَرِضْ عَلى مَشيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، ومعاذَ اللهِ أنْ يَعْتَرِضَ بَلْ كتَمَ ما يَشْعُرُ بهِ إيماناً وَصَبْراً واحْتِساباً.

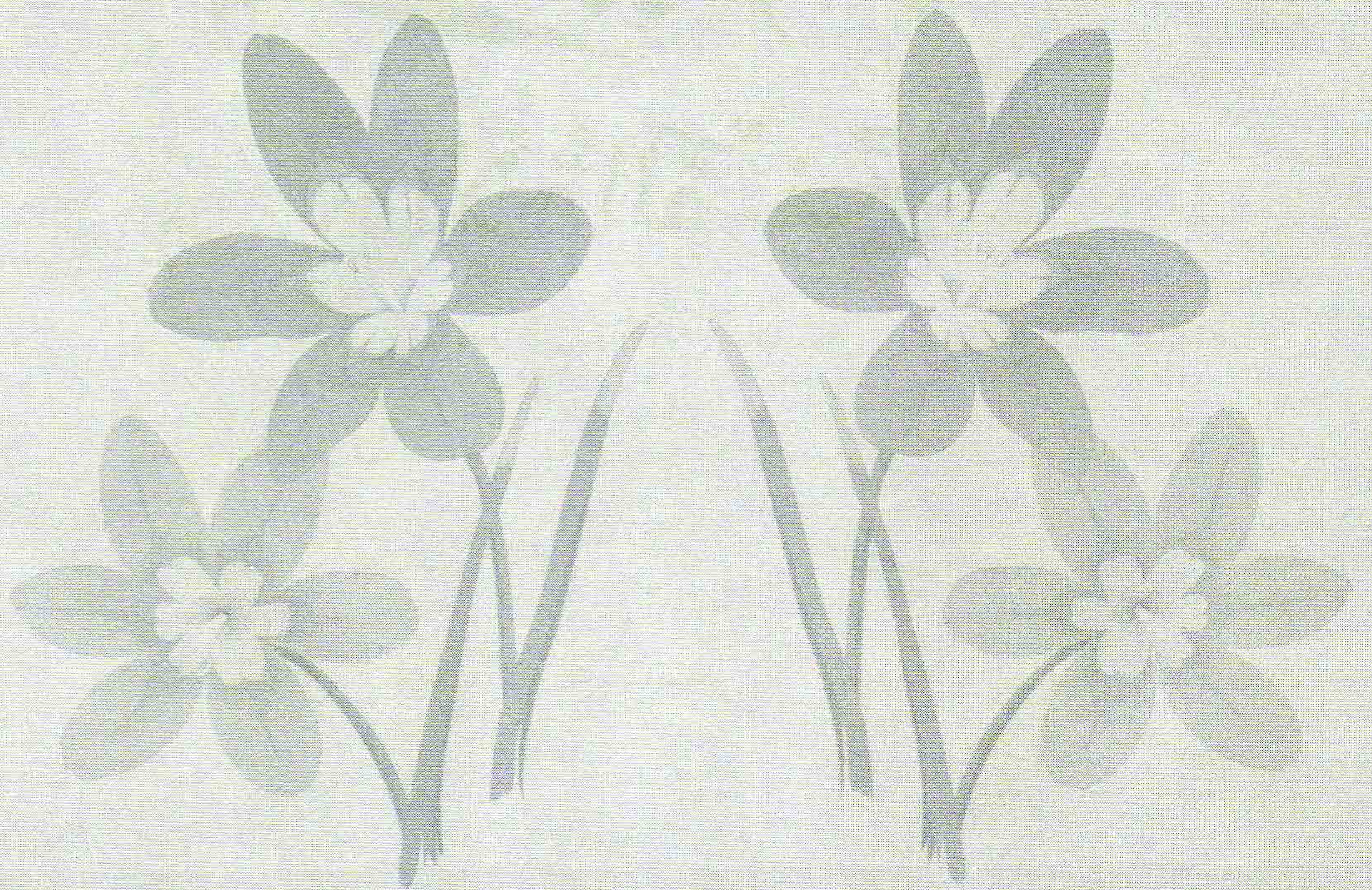
النَّاصِرُ هُوَ اللهُ

وَسُبْحَانَ اللهِ العظيم، وجَلَّتْ حِكْمَتُهُ لَكَأَنَّما أرادَ أنْ يَصْطَفِيَ نَبِيَّهُ بَعْدَ أنْ يَجْعَلَهُ يحتملُ أُبُوَّةَ أَرْبَعَةِ بَراعِمَ مِنَ الإناثِ، وما ذَلك إلا لِيُزَوِّدَهُ بِحَبْلٍ آخَرَ مِنْ حبال القُدْرَةِ عَلى حَمْلِ الرسالةِ الجليلةِ رسالةِ الإسلامِ، وليعلِّمَهُ الاعْتِدادَ بالذَّاتِ والنَّفْسِ دُونَ سُؤالٍ عَن نُصْرَةِ الوَلَدِ لَهُ كَما كَانَتْ عادَةُ العَرَبِ، وَيَجْعَلَهُ أيضاً في أبُوَّتِهِ لبناتٍ أَرْبَعَ أَحَبَّهُنَّ قُدْوَةً صالِحَةً لِمَنْ يُريدُ أنْ يَرى تَقْدِيرَ الإسْلامِ لِلأُنُوثَةِ، وتقديرَهُ لحقوقِ المرأةِ التي طَالَ عليها الأمَدُ في عَهْدِ الجاهليَّةِ الظَّالِمِ لَها.

لَقَدْ أَحَبَّهُنَّ وَخَلَّدَهُنَّ مَعَهُ عَلى صَفَحاتِ التَّاريخ.. ولكنْ قَبْلَ أنْ نتركَ مُتابعةَ حكاياتِ بَناتِ رسولِ اللهِ ﷺ وَبَراعِمِهِ، أَراهُ يَطْلُبُ منكُمْ ومِنَ البناتِ الصَّغيراتِ خاصَّةً مُعاهَدَةَ النَّفْسِ عَلى اتِّباعِ بَناتِ الرَّسُولِ في أخْلاقِهِنَّ العظيمةِ التي سنراها أثناءَ قراءَتنا لهذهِ السِّلسِلَةِ الطيبةِ.

زَيْنَب

الأُمُّ الصَّغِيرَة



أبوَّةُ الأنوثة

مَا أَنْ لاحَتْ بَوادِرُ الحمل لَدىٰ السَّيِّدَةِ خديجةَ زَوْجَةِ الرَّسُولِ الكَريم ﷺ حَتىٰ هَزَّ الفَرَحُ أَعْطَافَها وَشَارَكَتْها الفَرْحَةَ مكَّةُ كُلُّها، وَمَضَتْ مدة الحملِ، وَدارُ الرَّسُولِ العامِرةُ تَنْتَظِرُ المولودَ الصَّغيرَ، وما لَبِثَتْ صَيْحَاتُ الابتهاجِ أَنْ تَعالَتْ، وَعَرَفَ القَوْمُ أَنَّ خديجةَ بنتَ خُوَيْلدٍ قَدْ وَضَعَتْ مَوْلُودَها الأَوَّلَ لمحمَّدٍ الأمينِ، وَتَلاقَتْ عُيُونُ الأَبَوَيْنِ علىٰ وَجْهِ الوليدةِ الحلْوَةِ، وَخَفَقَ لها قَلْبَاهُما، وَسَمَّيَاهَا زَيْنَب. وَحَمَلَهَا الأَبُ العظيم بَيْنَ ذِراعَيْهِ لِيَرىٰ فيها صُورَتَهُ وَصُورةَ زَوْجَتِهِ. وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَزَيْنَبُ تَنْمُو أَشْبَهَ بِزَهْرَةٍ غَضَّةٍ باسمةٍ تُضْفِي على البَيْتِ مَزيداً مِنَ السَّنَاءِ والبَهْجَةِ.

إِنَّها البِنْتُ الأُولىٰ، والمولودُ الأَوَّلُ، والأُخْتُ الكُبْرىٰ لأَخَواتٍ أَتَيْنَ بَعْدَهَا، جَمَعَهُنَّ بَيْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَلِزَيْنَبَ من المحبَّةِ ما لا يَخْفىٰ على أَحِبَّتي الصِّغَارِ

الذين يحبُّهمْ آباؤُهُمْ وأُمهاتُهُمْ، ولَسْنا من الذين يَنْسون
يا أيُّها الأعزاءُ أنَّ رَسُولَ اللهِ تَقبَّلَ ابْنَتَهُ هديَّةً مِنْ ربِّ
السَّماءِ دُون اعتراضٍ في مجتمعٍ يكرهُ البناتِ، وكأنَّما زرَعَ
اللهُ في قَلْبِ نبيِّهِ حبَّ البناتِ، وَجَعَلَهُ يَتَحمَّلُ أُبُوَّةَ
الأُنوثةِ، ويصبرُ عليها. كيما يَسْتَعد للرسالةِ الجليلةِ التي
سيكون حاملَها ورسولَها.

يحقُّ لَهُمُ التَّنافُسُ

لَقَدْ خرَجَتْ زَيْنَبُ إلى الدُّنْيا لتعوِّضَ أَباها شيئاً عمَّا
قَاساهُ مِنْ حِرْمَانٍ، وَهُوَ صَغيرٌ . وَدَرجَتْ في مَنْبتٍ
كريم، عِنْدَ أُمٍّ خبيرةٍ بحضانَةِ الصِّغارِ ، وتربيتهم تربيةً
مثاليَّةً. وشَبَّتْ عن الطَّوْقِ، وَرَأَتْ شقيقاتها مِنْ حَوْلها،
إلاَّ أَنَّها تذكَّرَتْ في فاطمة الصَّغيرةِ طُفُولَتها، وَدرَّبَتْها
أُمُّها على العناية بهذِهِ الأُخْتِ المدلَّلَةِ، فكانَتْ كالأمِّ
الصُّغْرىٰ لفاطِمَةَ، تَرْعىٰ شُؤُونَها، وَتُمضي فَراغَها في

ملاعبتِها، فتَعَلَّمَتْ بذلك بَعْضاً من شُؤُون البَيْتِ.

وَزَيْنَبُ مِنْ صِغَرِها ونعومةِ أظفارِها كانَتْ مَحَطَّ تَنَافُسٍ كريم، تَرْنُو إليها العيونُ القُرَشِيَّةُ وتتهامَسُ بيوتاتُ مكَّةَ عَمَّنْ سَيَخْتارُهُ أَبواها مِنْ بَيْنِ الفِتْيَةِ المكِّيِّين الذين يحلُمُون بخطْبَتِها. وعَلىٰ الرغم من أَنَّ عُمُرَها لم يكُنْ قَدْ تَجاوَزَ العاشِرَةَ إلاَّ أَنَّ ابْنَ خالتِها (أَبا العاص بْنَ الربيع) كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ خَالَتَهُ خديجَةَ لَنْ تَبْخَلَ عَلَيْهِ بزيْنَبَ الحلوةِ الجميلةِ، فَقَلْبُهُ قَدْ خَفَقَ لَها مُنْذُ حَداثَةِ سِنِّهَا، وَراحَ يَرْقُبُهَا وهي تَنْضجُ قَبْلَ الأوانِ وَتَأْخُذُ طابَعَ الأُنُوثَةِ الجميلِ، وَتَرْقىٰ سراعاً في مَدارِجِ النُّموِّ، مُتَفَتِّحَةً للصِّبا في بهاءٍ وإشراقٍ نتيجة عنايةِ أُمِّها بها وَحُسْنِ تربيتِها لها.

الخُلُقُ زينةُ الشَّبابِ

وَأَبُو العاصِ ابْنُ خالتِها هالة بنت خويلد كان مِنْ خيرةِ الشَّباب، وَيَسْتَحقُّ لمكانَتِهِ وَخُلُقِهِ كُلَّ تِرْحَابٍ وَوُدٍّ

مِنْ خَالَتِهِ خديجَة، لكنَّ مَشاغِلَهُ الجسام لم تَسْمَحْ لَهُ برؤْيَةِ زَيْنَبَ إلاَّ قليلاً. وإذا ما أُتيحَتْ لَهُ الفُرصَةُ ورآها فَكانَتْ تَأْخُذُه بجلالِ مرآها وَذَكاءِ مَلامِحِها، ولُطْفِ طباعِها، وتُعْجِبُهُ بحيائِها وَبَراءَة صِباها، وَمُقابل ذلك، فزَيْنَبُ قَدْ بَانَ لها مِنْ مَخايلِ رُجُولَةِ ابْنِ خالتِها ما جَعلَها تَعْتَزُّ به، وتَرىٰ فيه قُوَّةَ الشَّخْصيَّةِ وَسَعَةَ الخبرةِ وَأَصالَةَ النَّسَبِ. وَإذا مَا تَحادَثَ الاثْنانِ أَتْحَفَها بطرائِفِ أَسْفارِه، فَوعَتْ حديثَهُ، وفَهِمَتْ كلامَهُ ودلَّتْ بذلك علىٰ آيةِ رُشدِها، وَرَجَاحَةِ عَقْلِها، وَجَمَالِ ما يميّزها مِنْ حكْمَةٍ وَطَبْعٍ وَذَكاء.

وآنَ الأَوانُ أخيراً، لكَيْ يَتقَدَّمَ ابْنُ الرَّبيع إلى الرّسولِ الكريمِ محمَّدٍ ﷺ يخطبُ زَيْنَبَ، فَأَحْسَنَ الأَبُ لقاءَه، وَأَصْغىٰ إليه، ثُمَّ قَامَ فَاسْتَشَارَ ابْنَتَهُ وَسَأَلها رَأْيَها، فَأَمْسَكَها حَيَاؤُها عَنِ الرَّدِّ بلسَانِها، وَأَسْمَعَتْهُ خَفقاتِ قَلْبِها الطَّاهِرِ موافقةً على ابن خالتِها الصِّهْرِ الكفْءِ.

الأولادُ زينةُ البيتِ

وَتَصاهَرَ البَيْتانِ ، فازْدادَتْ قَرابَتُهما، وَرَدَّدَتْ مَكَّةُ أَصْداءَ العُرْسِ ، وَفارَقَتْ زَيْنَبُ بَيْتَ أَبَوَيْها تاركَةً وَراءَها فاطمةَ الصُّغْرىٰ تَبْكي وهي لا تَفْهَمُ بحكْمِ طُفُولَتِها حِكْمَةَ زَواجِ أُخْتِها، وإِنَّها لا تَفْهَمُ سَبَبَ هَذا الفَرَحِ المُعْلَنِ في البَيْتِ لِفِراقِ أُمِّها الصَّغيرةِ.

وَهُناكَ في بَيْتِ ابْنِ الرَّبيعِ، نَعِمَ العَرُوسانِ في ظِلِّ حَياةٍ زَوْجِيَّةٍ موفَّقَةٍ، مَرَّتْ أَثْناءَهَا مراحل مِنْ وِحْشَةِ الفراقِ المُؤَقَّتِ إذا ما اضْطُرَّ ابنُ الخالَةِ إلى السَّفَرِ في تجارةٍ لَهُ. ولكنَّهُ لا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ حامِلاً الهديَّةَ الحلْوَةَ ، والخَبَرَ الجميلَ، فَيَحْلُو اللقاءُ أَكْثَرَ وأَكْثَرَ بَعْدَ الغيابِ.. ومما جَعَلَ عالَمَهُما يفيضُ بالغِبْطَةِ والفَرَحِ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ مَنَّ عَلَيْهما بوليدِهما (عليٍّ)، ثُمَّ جاءَتْ مِنْ بَعْدِهِ أُخْتُهُ (أُمامَةُ) فما أَكْرَمَكَ يا ربُّ! وما أَجْمَلَ هَداياكَ الصَّغيرةَ وودائِعَكَ البريئةَ الغاليةَ! وإنَّهُ لمَّا يَجْعَلُ زَيْنَب تتذكَّرُ

تَـرْبِيَـةَ أَبَـوَيْها لها، وَتَدْرِيـبَ أُمِّها لها على تَـرْبِيـةِ أُخْتِهـا الصَّغيرةِ فاطمةَ مِنْ قَبْلُ. وَيَا لها مِنْ ذِكْرياتٍ تُثيرُ الهِمَّةَ مِنْ جـديـدٍ ، وتفيضُ القَلْبَ بـالحنـانِ والحبِّ ، وَتَجْعَلُ الفَمَ يَنْحني بِقُبلةٍ على الفِراخِ الزُّغْبِ.

ما جَرَّبُوا عليه كَذِباً

وَيَـذْهَبُ ابْنُ الرَّبيعِ ذَاتَ مَـرَّةٍ في تجارةٍ لَهُ، وَتَتَنـاقَلُ حَلَقَاتُ مَكَّةَ شَـائِعاتٍ عَنْ ظُهُورِ نبيٍّ جديـدٍ هُوَ مُحمَّدٌ ابنُ عبـدِ اللهِ والِدُ زَيْنَب، وَتُسْرِعُ زَيْنَبُ إلى بَيْتِ والـدتِها لِتَسْتَـوْثِقَ مِنَ الخَبَرِ ، وَقَـدْ رَأَتْ أَبَـاهـا مِنْ قَبْلُ دَائِمَ التَّفكيرِ يحبُّ الخَلْوَةَ ، وَيَتَعَبَّـدُ في غـارِ حـراءٍ، وَمـا أَنْ وَصَلَتْ إلى أُمِّها وإخْوتِها حَتَّىٰ أَدْرَكَتْ صِحَّةَ مايَقُـولُهُ النَّاسُ. وَسرْعَانَ ما اسْتَرْجَعَتْ شَرِيطَ ذِكْـرَياتٍ طويلةٍ، وَوَقَفَتْ ذاهِلَةً بَعْضَ الـوَقْتِ، فَرَدَّها إلى يقظتِهـا صَوْتُ فاطمـةَ تَسْأَلُها: أَوَمَا يَسُرُّكِ يا أُخْتـي أَنَّكِ بنْتُ نبيِّ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ أَجـابَتْ باعتـزازٍ: بَلىٰ واللهِ يا حبيبتي ، وابْتَسمتِ

الشَّفَتانِ، وَأَقْبَلَتِ الأُخْتانِ نَحْوَ أُمِّهِما وَأَبِيهِما يَسْتَزِيدانِ مِنَ الخيرِ والحقِّ ، وكَمْ كَانَ الوَقْعُ صَعْباً عِنْدَما اسْتَبانَ لَهُما أَنَّ أَبَاهُما سَيُلاقِي صُعُوباتٍ كثيرةً ، وسَيُؤْذِيهِ الآخرونَ وَيُخْرِجونَهُ مِنْ بَلَدِهِ وَيُقَاتِلُونَهُ، وَما هَذا إلاَّ لأنَّ طريقَ الحقِّ مَحْفُوفٌ بالمكارِهِ، وَلَنْ تُقْدِمَ النَّفْسُ على اتِّباعِهِ ولو اقْتَنَعَ العَقْلُ، وإنَّهُ لَمُقْتَنِعٌ بأَنَّ محمَّداً صادِقٌ ؛ ما جَرَّبَ عليه أحدٌ مِنْ أَهْلِ مكَّةَ كذباً قط مِنْ صغرِهِ .

لاتسمعْ لكلامِ الجاهِلِين

وَيَعُودُ زَوْجُ زَيْنَبَ مِنْ تجارَتِهِ، وَقَدْ سَمِعَ شَيْئاً مِنَ الشَّائعاتِ عَنْ ظُهُورِ النبيِّ الجديدِ ، وَأَسَرَّتْ لَهُ أُمُّ عليٍّ بالنبأ اليقينِ وهي تَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيُفْرِحُهُ، فالنبيُّ والِدُ زَوْجَتِهِ، وَيعرفُ صِدْقَهُ وَأَمانَتَهُ، لكنَّ الوَجْهَ الذي يفيضُ بالبِشْرِ تَوَقَّفَ عَنْ نَظَراتِ الأَمَلِ، ماذا حَدَثَ يا زَيْنَبُ حَتّى أَثارَتْكِ الدَّهْشَةُ؟ إنَّها قَدْ دَهِشَتْ يا أَحبَّائي عِنْدَما أَمْسَكَ ابْنُ الربيعِ صَامِتاً ثُمَّ ما لَبِثَ أَنْ قالَ لَهَا: لو

تبعْتُـهُ يـا زَيْنَبُ لقـال القَوْمُ: فَـارَقَ دينَ آبائـهِ إرْضَـاءً لزَوْجِهِ ـ ولم تتركْهُ زَيْنَبُ يتابـعُ كَلامَهُ بَلْ قَاطَعَتْهُ في لهفةٍ قائلةً: (لكنَّكَ لَنْ تَدعَ كلامَ القَوْمِ يُثْنيك عَنِ الحقِّ. وَأَنا قَـدْ أَسْلَمْتُ يا بْنَ الخالَـةِ، وواللهِ ما كُنْتُ لأُكـذِّبَ أبي، وإنَّـهُ لكـما عَـرفْتَ الصّـادقُ الأمينُ. وَقَـدْ أسْلَمَتْ أُمِّي وَأَخَـوَاتي وابْنُ العَمِّ عليٌّ، وَأَبـو بكـر، وَعُثْمانُ بْنُ عفَّـان، والـزُّبَيْرُ بْنُ العوَّامِ، وكُلُّهُمْ مِنْ قَـوْمِكَ، وأَكْثَـرُهُمْ يمتُّ إليْكَ بالقـرابة وَصِلَةِ الـرَّحَمِ. وإنِّي رَجَوْتُ أَنْ تَسْبِقَ إلىٰ الإسْـلاَمِ مثلهم..) .. وتمرُّ الأيَّـامُ والحيرةُ تُسَيْطِـرُ على الرَّجُلِ، لا يَـدْرِي ما يَصْنَعُ إذْ آمَنَتْ زَيْنَبُ وَأَهْلُهـا وَنفرٌ ممنْ يعـرِفُهم، وَيَـا لَهَا مِنْ حيرةٍ تُـؤرِّقُ العَيْنَ وتشْغلُ البَالَ؟!

الإيمانُ لا يحتاجُ لإذْنٍ

وَحَـاوَلَتْ مَـرَّةً أُخْـرىٰ أَنْ تَشْرَحَ صَـدْرَهُ لـلإسْلاَمِ، وَعَيْناها مليئَتانِ بـالدّموعِ، فَقَالَ لَها وَقَدْ رَاعَهُ مـا تُكَابِدُ

حَبِيْبَتُهُ مِنْ حِرْقَةٍ على عَدَمِ إيمانِهِ:

(واللهِ ما أَبُـوكِ عندي بمتَّهَمٍ، وَلَيْسَ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَسْلُكَ مَعَكِ يـا حبيبةُ في شِعْبٍ واحِدٍ، لكنّـي أكْرَهُ لَكِ أَنْ يُقَالَ: إنَّ زَوْجَكِ خَـذَلَ قَوْمَـهُ، وَكَفَرَ بآبـائِهِ، إرْضَاءً لامْرَأَتِهِ، فَهلاَّ عَذَرْتِني يَا زَيْنَبُ؟).

أيُّ عُذْرٍ تَعْذُرُكَ يَابْنَ الرَّبيع؟ أَوَ في هَذا الأَمْرِ ما تَحْتَجُّ بِـهِ أمامَ اللهِ وأمَـامَ رسـولِـهِ ؟ إنَّ أَمْرَكَ لَشَيْءٌ عُجَـابٌ!! ومتىٰ كـانَ الإيمانُ برسـولِ اللهِ الصَّـادِق يُـوقِفُهُ الكُـرْهُ والخَوْفُ مِنْ أَقْـوَالِ الآخـرينَ ، وَيـا لَلْغرابـة في أَنْ يَـرىٰ النَّاسُ في إيمانِهِ إذا آمَنَ إرْضَاءً لِزَوْجَتِهِ وامْرَأَتِهِ.

اصْبِرِي يـا زَيْنَبُ، لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكِ مَخْرَجاً، وَيَهْدِي قَلْبَـهُ، وَيَشْرح صَـدْرَهُ ، وَتَـذَكَّـرِي مـا سمِعتِـهِ في بَيْتِ والِدِكِ: (صعوباتٌ عظيمةٌ وكبيرةٌ سيلاقيها الرَّسولُ مِنْ قومِهِ).

اللهمَّ أنْتَ الهادي

وَيَبْـدَأُ الصِّراعُ بَيْنَ محمَّـدٍ ﷺ وقُـرَيْشٍ، وَيعْلَمُ ابْنُ الرَّبيعِ وَزَيْنَبُ بكلِّ ما يَـدُورُ في مكَّةَ بَيْنَ الفريقيْنِ، وَتَمُرُّ السّنونُ صَعْبَةً على آلِ هـاشِمٍ، وَتَمُوتُ خديجةُ أُمُّ زَيْنَب، وَيمُوتُ العمُّ أبُو طالبٍ، فَيُحْيِي مَوْتُهما وَفَقْدُهما ما مات مِنْ آمالِ المشركين في اضطهادِ محمَّد وأَتْباعِهِ، وَبَدَأَ أَتْباعُ محمَّـدٍ يُهاجـرون إلى المدينـة فِراراً مـن الأذىٰ والفتْنَـةِ، وَيَتْبَعُهُمْ محمَّـدٌ بَعْـدَ أَنْ رَصَـدَتْ قُـرَيْشٌ لقتْلِـهِ أكْبَرَ الجوائزِ. وَلَمْ يَبْقَ في مَكَّــةَ من المسلمين إلاَّ القليل ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ بيت رسـولِ اللهِ إلاّ زَيْنَبُ عِنْدَ زَوْجهـا ابْنِ الـرَّبيعِ ، تبكي فِراقَ الأحبَّـةِ: أُمُّهـا قَدْ مَـاتَتْ ، وَأَبُوهَـا وإخـوتُها في هجـرةٍ واغتراب، وَبَيْتُ الصِّبـا مُقْفِرٌ مِنَ البهجـة والأُنْسِ، وَتَـرْفَـعُ يَـدَيْها إلى السَّماء تُنـاجي رَبَّها بقَلْبٍ حزينٍ وَعَيْنٍ دامعةٍ:

(ياربُّ. إنَّ قَلْبي ليكادُ يَتَصَدَّعُ، وَزَوْجي ما يَزالُ على دينِ آبائِهِ، فاشْرَحِ اللهُمَّ صَدْرَهُ للإسلام، حَتَّىٰ يَلْتَئِمَ الشَّمْلُ ويجتمعَ الأَهْلُ .. اللهمَّ رَحْمَتَكَ.. وَهِدايَتَكَ.. اللهمَّ فاربأِ الصَّدْعَ وَاجْمَعِ الأحبَّةَ، إنَّكَ سميعٌ مجيبٌ).

قلادةُ المحبَّةِ

وَتَتَناقَلُ الركْبَانُ أَنْباءَ انْتِصارَاتِ محمَّدٍ، وَتَمْلأُ غَزْوَةُ بَدْرٍ الدُّنْيا بأَصْدائِها، ويا للخبرِ العظيمِ.. أَبُوكِ قَدِ انْتَصَرَ يا زَيْنَبُ في قلَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ على قُرَيْشٍ في كثرتِها وعدَّتِها، ولكنْ؟! زَوْجُكِ قَدْ وَقَعَ أَسِيراً في يَدِ والِدِكِ الكريم المنْتَصِرِ.

وفي المدينةِ المنوَّرةِ، يقفُ الرَّسُولُ أمامَ أصْحابِهِ قائلاً: (اسْتَوْصوا بالأسرىٰ خيراً). وَيَلْمَحُ مِنْ بعيدٍ غُبارَ فارسٍ مكِّيٍّ قرشيٍّ!! إنَّهُ عَمْرُو بْنُ الرَّبيع شقيقُ الأسيرِ، وَيَتَقَدَّمُ الفَارِسُ مِنْ محمَّدٍ، وبيده صُرَّةٌ، ويقولُ:

(بَعَثَتْني زَيْنَبُ ابْنَتُكَ بِهَذا في فِـداءِ زَوْجِهـا).. وَيَأْخُـذُ الرَّسُولُ الصُّرَّةَ وَيَفْتَحُها ، وَيـا لَلْمُفَاجَأَةِ!! قِلَادَةٌ أَهْدَتْها خديجَةُ رحِمَها اللهُ إلى ابْنَتِها زَيْنَبَ يَـوْمَ عُرْسِها حينَ زَفَّتْها إلى ابنِ خـالَتِها.. يَاللهِ.. لَقَـدْ رَقَّ قَلْبُ الرَّسُـولِ، وَخَفَقَ لِذِكْـرى خديجَةَ ، وَأَطْـرَقَ أَصْحَابُـهُ وَقَدْ أُخِـذُوا بجلالِ المَوْقِفِ وَرَوْعَتِهِ، قلادةٌ حبيبةٌ لزوجتِهِ الحبيبةِ ، تَبْعَثُها ابْنَةٌ حبيبةٌ في فداءِ زَوْجٍ حبيبٍ.

الاكتئابُ يثيرُ التَّساؤُلَ

ويتكلَّمُ الرَّسُـولُ بَعْدَ تَأَثُّـرٍ وَصَمْتٍ وَيَقُولُ: إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لها أَسيرَهَا، وَتَرُدُّوا عليها مَالها، فَافْعَلُوا، فَهَتَفُوا جميعاً بملْءِ قُلُوبِهِمْ:

(نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ .. نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ .. قَدْ فَعَلْنا).

ويعـودُ أَبو العـاصِ إلى زَيْنَبَ بَعْدَ أَنْ وَعَـدَ الرَّسُـولَ وَعْداً لَمْ يَفْهَمْهُ أَحَـدٌ غيرهُما، وَتَفْرَحُ زَيْنَبُ، وَتَحْمَدُ اللهَ أَنْ

رَدَّ زَوْجَها سالماً إليها وإلى طِفْلَيْـهِ، ولكنْ!! ما بالُ وَجْهِهِ يَغْشَاهُ الوُجُـومُ والاكتئابُ؟؟ سَأَلَتْهُ في لهفَـةٍ وَخَوْفٍ: مَا بِكَ يَـابْنَ الخالَـةِ؟ فقال جِئْتُـكِ مُودِّعـاً يـا زَيْنَبُ!!؟. وَرَاعَها الخَبَرُ ، أفي هـذِهِ السُّهُولَـةِ وَبَعْدَ غيـاب طويلٍ؟ وإلى أَيْنَ سَتَذْهَبُ أيُّها الحبيبُ؟ قال الحبيبُ: لَنْ أَذْهَبَ يا حبيبتي وَلَنْ أَرْحَلَ، ولكنَّكِ أنْتِ الـرَّاحِلَةُ هذِهِ المرَّةَ!! عجيبٌ أَمْرُهُ! ما بالُهُ اليَوْمَ؟ لَقَدْ عَرَفَتْهُ مِنْ قَبْلُ لاَ يَتخَلَّى عَنْهَـا عِنْدَمَـا طَلَبَ مِنْهُ الكُفَّـارُ رَدَّهَا إلى أبيهـا وفراقهـا فقالَ لَهُمْ: (لا واللهِ إني لا أُفارِقُ صاحبتي، وَما أُحِبُّ أنَّ لي بامْـرأتي امْرأَةً مِنْ قُرَيْش)، وَرَفَضَ أَنْ يَفْعَلَ مـا فَعلَهُ آنذاك زَوْجا رقيَّة وأُمِّ كُلْثُوم ..

القَرابَةُ قَرابَةُ الرُّوح

أَدْرَكَ أَبُـو العاص مـا خَطَـر ببـالِ حبيبتِهِ، فَهَـدَّأَ مِنْ رَوْعِها وقالَ في حَنَانٍ: رُحْماكِ يا حبيبةُ، إنَّ أَبَاكَ هُوَ الَّذي

طَلَبَ أَنْ أَرُدَّكِ إليْهِ، لأنَّ الإسْلام فَـرَّقَ بَيْني وَبَيْنَكِ، وَقَدْ وَعَـدْتُـهُ أَنْ أَدعَكِ تسيرين إليْـهِ، وَمَـا كُنْتُ لأَنكُثَ عَهْدي). يـا للفراقِ الصَّعْبِ يـا زَيْنَبُ، لا بُدَّ مِنْ سَماعِ كلمةِ الإِسْلامِ في مِثْلِ حَالِكِ، ولا يَجُوزُ البَقاءُ عِنْدَ زَوْجٍ لمَّا يُؤْمِنْ بَعْدُ برسالَةِ أبيكِ .. وَصَبْراً إنْ فَرَّقتكُما السَّماءُ في تَشْريعها الجديـد، فإنَّـهُ لا قَـرَابَـةَ إلاّ قَـرابَـةُ العقيـدةِ والدِّينِ..

وَمَـرَّتْ أيَّامٌ قـلائلُ، وجَهَّزَتْ زَيْنَبُ نَفْسَهَـا، وَوَدَّعَتْ زَوْجَهـا وَدَاعَ أَمَلٍ في مُسْتَقْبَلٍ آخرَ جـديدٍ تُكَلِّلُـهُ قَرَابَـةُ الـرُّوحِ والنَّسَبِ معـاً، وخَـرجَتْ إلى المدينـة تَحْمِلُ في أحْشَائِها جنيناً لم يُكْمِلْ شَهْرَهُ الرَّابعَ، وَقَاسَتْ في رحلتِها مِنْ مُطَـارَدَةِ القرشيِّين مـا جَعَلَهَـا تَنْزِفُ الـدِّمـاءَ في الصَّحْـراءِ، ووَصَلَتْ أخيراً إلى يَثْـربَ، فـاسْتَقْبَلَهـا المُسْلِمونَ فَـرحينَ، وَجَلَسَتْ زَيْنَبُ في حِمىٰ أَبيها، تَعيشُ آملةً في إسْلَامِ مَنْ تَرَكَتْهُ في مكَّةَ عَمَّا قريب.

وجاء الأمل أخيراً

وتمضي سنواتٌ ستٌّ، وتَسُـوقُ المقاديـرُ ابْنَ الرَّبيعِ إلى المدينة يطاردُهُ الصَّحابةُ الذين اسْتَوْقَفُوا قَافِلَةً لَهُ، فَأَسْرَعَ نَحْـوَ يثـربَ يَسْتَجيرُ بزَوْجَتِـهِ، ودَخَلَ عليهـا فأكْـرَمَتْ مَثْواهُ، وخَفَّفَتْ مِنْ رَوْعِـهِ، وَرَأَتْهُ يُمْسِكُ دَمْعَتَيْنِ كَـادَتا أَنْ تَنْهَمِـرا مِنْ عَيْنَيْـهِ، فَـراحَ يَتَشَاغَلُ بمنـاجـاةِ طِفْلَيْـهِ النَّـائِمَيْنِ (عليّ وأُمَـامَـةَ)، وانْبَلَجَ الصَّبـاحُ عَنْ صَـوْتِ زَيْنَبَ تصيحُ: أَيُّها النَّـاسُ: إنِّي أَجَـرْتُ أَبَـا العـاصِ بْنَ الرَّبيعِ. وَحَمَلَ النَّسيم صَوْتَها إلى رَسُـولِ اللهِ وَصَحَابَته في المَسْجِدِ، وَسرْعَانَ ما ذَهَبَ الرَّسُول إلى ابْنَتِهِ وعِنْدَها ابنُ الرَّبيعِ فَسَأَلَها الخبرَ فقَالَتْ: يـا رسول الله، إنَّ أَبا العاصِ إنْ قَرُبَ فَابْنُ عَمٍّ وَإنْ بَعُدَ فَأَبُو وَلَدٍ، وَإنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ.

وَأَعـاد الصَّحابَـةُ أَمْوالَ القَـافِلَـةِ إلى ابْنِ الرَّبيعِ محبَّـةً لرسولِ الله وَكَـرامَةً لَهُ. وَقَدْ فَعَلُوا هـذا عَنْ طيبِ خَاطِرٍ

غير مُكْرَهين، وَوَدَّعَ أبُو العاص أُمَّ وَلَدَيْهِ، وَقَدْ أَضْمَرَ في نَفْسِهِ أَمْراً يَضَعُ فيه حدّاً لِلْفِراقِ.

المؤمنُ لا يخونُ أحداً

إنَّهُ قـال لزَيْنَبَ قَبْـلَ رحيلهِ مِنْ يَثْربَ: (لَقَدْ عَـرَضُوا عَليَّ أَنْ أُسْلِمَ، وَآخُـذَ مـا معي مِنْ أَمْـوالٍ، فإنَّها أَمْـوَالُ المشركين، فَأَبَيْتُ قـائِلاً: بِئْسَ مـا أَبْدَأُ بِـهِ إِسْـلامِي أَنْ أَخُونَ أَمَـانَتي). فَحَدَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ، وَقَد اسْتَبَـانَ لَها نُورُ الأَمَلِ يَتَسَرَّبُ إلى بَيْتِها وَنَفْسِها وَقَلْبِها .. وَمَا هِي إلاَّ أَيَّامٌ حتَّى وَصَلَ أَبُـو العـاص إلى مَكَّــةَ.. وَقَـدْ عَلِمَ الجميعُ بِأَمْرِهِ مَعَ أَصْحَابِ مُحمَّـدٍ، وَها هُوَ ذا يَقِفُ وَيُعْطي كُلَّ مَنْ لَـهُ حَقٌّ حَقَّهُ، ثُمَّ يَقُـولُ: يَا مَعْشَرَ قُـرَيشٍ، هَلْ بَقِيَ لأحَدٍ مِنْكُمْ عِنْـدي مَالٌ لَمْ يَأْخُـذْهُ؟ أَجَابُـوا: لاَ. جُزيت خَيْراً، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وفيّـاً كريماً، ثُمَّ أَدَارَ فيهمْ بَصَرَهُ وَقال على مَهْلٍ وَكَأَنَّهُ يَزِنُ كُلَّ كَلمةٍ ممـا يقولُ: (فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ

لَا إلهَ إلا اللهُ وأن محمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، واللهِ مَا مَنَعَني من الإِسْــلَامِ إلاّ تخوُّفُ أَنْ تَظنُّـــوا أَنِّي إِنَّما أَرَدْتُ أَنْ آكُلَ أَموالَكُم، فَلَمَّا أَدّاهَـا اللهُ إليكمْ وَفرغْتُ منْهـا أَسْلَمْتُ).

وَخلَّفَ القَوْمَ واجمين، وانْطَلَقَ عَـائِداً إلى المدينة.. بَلْ إلى زَيْنَبَ، وَما أَحْلاهُ مِنْ لِقَاءٍ يجْمَعُ شَمْلَ الأَحِبَّةِ تحْتَ لِواءِ كلمةِ التَّوْحِيد!

فَلْتَكُنِ النِّساءُ مِثْلَها

وَهَنَّأَهُ المسلمـونَ، وَرَدَّ له الـرَّسـولُ زَيْنَبَ زَوْجَةً وفيّـةً كريمةً، لكنَّ اللقاءَ لَمْ يَدُمْ طويلاً، فَلَقَدْ مَضىٰ عامٌ واحدٌ لتمـوت بعـدَهُ زَيْنَبُ في السنـة الثامنـة للهجـرة وكـان عمـرها حـوالي الخامسـة والثـلاثين وقد مـاتت متأَثِّـرَةً بمرضٍ لازَمَها، منْذُ أَنْ نَزفتْ في الصَّحراءِ أَيَّام هجرتِها ومطارَدَةِ المشركينَ لها.

وَأَكَبَّ أَبـو العـاصِ علىٰ شهيـدةِ الصَّبرِ والجهـادِ الطويل، يُنـاجيها وَيَتَشَبَّثُ بها، حَتَّىٰ أَبكىٰ مَنْ حَـوْلَهُ،

وَبكَتْ فاطمةُ أختُها (أُمُّها الصغيرةُ)، وأُمُّ كلثوم تحاوِلُ مواساتَها، وبَكاها الرَّسُولُ وَصَحابَتُهُ وَصَلُّوا عليها في المَسْجِدِ النبويِّ، وَشَيَّعَها الزَّوْجُ والأَبُ والمهاجرونَ والأَنْصارُ إلىٰ مَرْقَدِها الأخيرِ ..

وعادَ أبُو العاصِ إلى مَنْزِلٍ لَمْ يَبْقَ فيه إلا الذِّكْرَياتُ، وَكادَ الحزنُ يُهْلِكُهُ لَوْلاَ أَنْ وَجَدَ في وَلَدَيْهِ بَعْضَ العَزاءِ لما فيهما مِنْ شَبَهٍ بأُمِّهما.

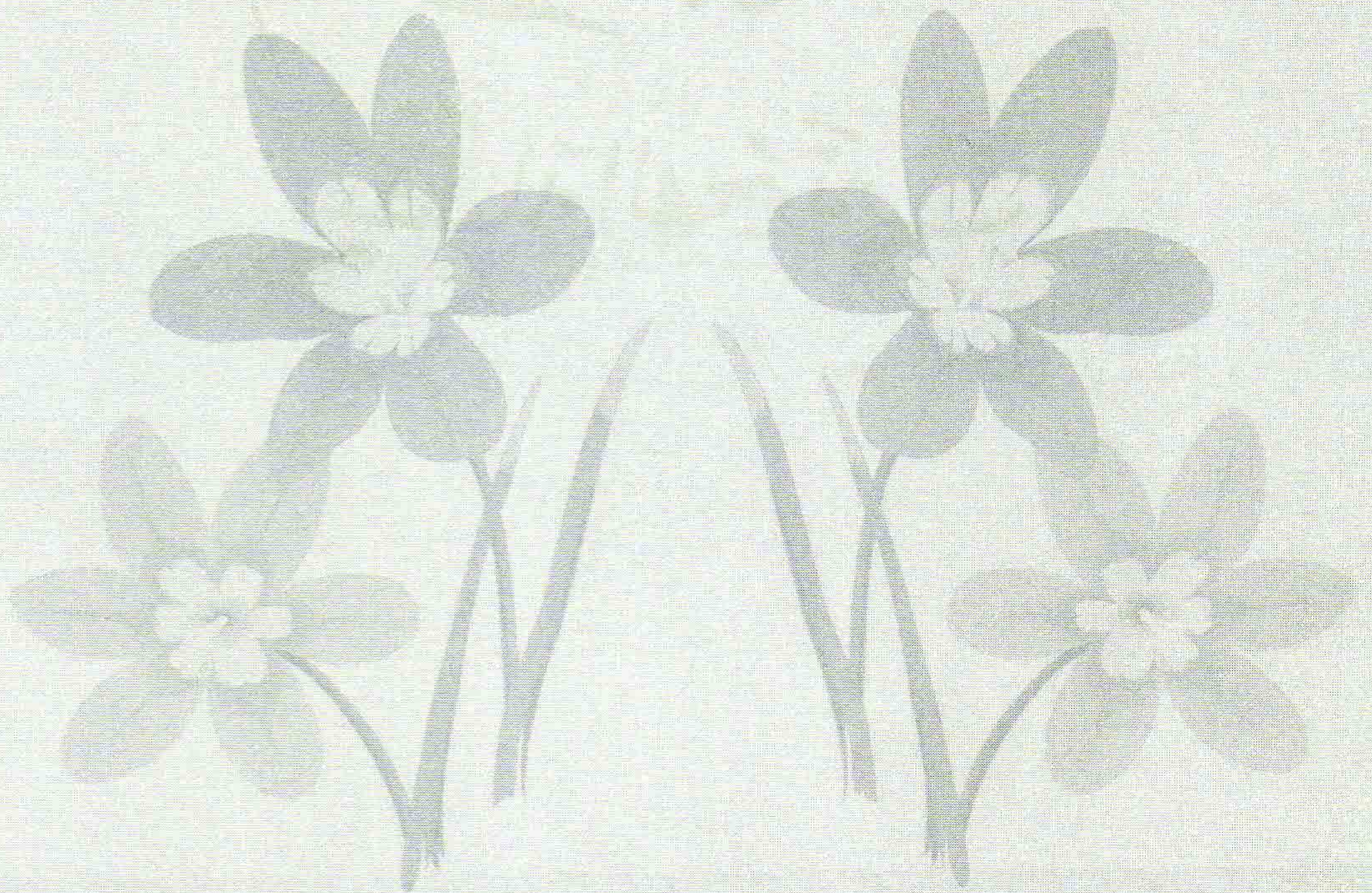
رَحِمَ اللهُ زَيْنَبَ .. وَسَلامٌ عليها واحدةً من النِّساءِ الكريماتِ، وما أَكْرَمَ قصتَها تَمْلأُ سَمعَ الزَّمانِ قائِلَةً:

(هكَذا فلْتَكُنِ البَناتُ والزَّوْجَاتُ والأُمَّهاتُ).

صلّى اللهُ وسلّم علىٰ وَالِدِها ووالدتِها وعَلَيْها وَعَلى زَوْجِها وَأولادِها أَجْمَعِين.

رقية

بطلة الهجرتين



اللهمَّ تقبَّلْ مِنَّا

علمتمْ يـا أَحِبَّتي الصِّغـار أَنَّ بيْتَ الـرَّسـولِ الحبيبِ محمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ ، قَدْ تزَيَّنَ بأَرْبعِ بنَاتٍ وُلِدْنَ لَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ خديجةَ أُمِّ المؤمنينَ ، رضيَ اللهُ عنها.

وَقَـدْ عَـرَفْنَا حَيَـاةَ الأُولىٰ مِنَ الأخـواتِ الأربعِ ، وهي زَيْنَبُ. وَبقِيَ لَنَـا ثَـلاثُ حَلَقَـاتٍ. وَهَـذهِ إِحْـداهُنَّ سَأَتحدَّثُ لَكُمْ فيهـا أَيُّها الإِخْـوَةُ الأَعـزَّاءُ عَنْ (رقيَّـةَ) الأختِ الثـانيـةِ، وَلَعَلَّ في قِصَّةِ حيـاتِها دُرُوسـاً وَعِبَرَ لا تَقِلُّ أَهميةً عمَّا وَجَدْنَاهُ في قصـةِ زَيْنَب. وَالمهِمُّ يا أَحِبَّائِي أَنْ نَقْرأَ مَعَ الْفَهمِ والاسْتِفَادَةِ، حَتَّى يكونَ أَمَلُنا في فتياتٍ مؤمناتٍ أملاً أَقْرَبَ إلى التَّحْقيق بِعَوْنِ اللهِ تعالىٰ.

ارْفَعـوا أَيْـديكُم إلى الخالِقِ الكـريمِ، واسْأَلُـوهُ عَـوْنـاً وَصَبْراً علىٰ المُطَالَعَةِ والقراءَةِ والدِّراسَـةِ الواعيةِ، وادْعُوهُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَينا آفـاقَ عِلْمٍ مُسْتَفيضٍ، نَبْتغي بِـهِ وَجْهَ اللهِ

وَحْدَهُ، وَنَسيرُ بِفَائِدَتِهِ نَحْوَ جَادَّةِ الصَّوَابِ ، اللَّهُمَّ آمين.. وَأَنَا سَأَقُولُ مَعَكُمْ: اللهمَّ تَقَبَّلْ مِنَ الأَفْئِدَةِ الصَّغيرةِ الفتيَّةِ خفقاتِ الحبِّ والإيمانِ.

البَذِيءُ لا يحبُّهُ العَاقلون

لم يَمْضِ على زَواجِ زَيْنَبَ الكُبْرىٰ غيْر وَقْتٍ قَصيرٍ، إلاَّ وَطَرَقَ بَابَ خَدِيجَةَ ومحمّدٍ، وَفْدٌ مِن آل عَبْدِ المطَّلِبِ، جاءَ يَخْطبُ ورقيَّةَ وَأُخْتَها التي تَصْغرُها قليلاً لشَابَّيْنِ مِنْ أَبْناءِ الأعمام وهُما (عُتْبَةُ ـ وعُتَيْبَةُ) وَلَدا أبي لَهَبٍ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ .

وَأَحَسَّتْ رُقَيَّةُ وَأُخْتُها انْقِباضاً لدى أُمِّهما خديجَةَ، فالأُمُّ تَعْرِفُ مَنْ تكُونُ أُمُّ الخاطِبَيْنِ زَوْجَةُ أبي لهبٍ، وَلَعلَّ بيوتاتِ مكَّةَ كُلَّها تَعْرِفُ كذلك مَنْ هي؟ إنّها أُمُّ جميلٍ بنْتُ حَرْبٍ ذَاتُ القَلْبِ القَاسي والطَّبْعِ الشَّرِسِ واللِّسانِ الحادِّ.

وَلَقَدْ أَشْفقَتِ الأُمُّ عَلَى ابْنَتَيْها مِنْ مُعَاشَرَةِ أُمِّ جميلٍ، لكنَّها خَشِيت اللِّسَان السَّليطَ الذي سَيَنْطَلِقُ مُتَحَدِّثاً بما شَاءَ مِنْ حِقْدٍ وافْتراءٍ إنْ لَم تَتمَّ الموافقَةُ على الخطوبة والزَّواجِ، وَلَمْ تَشأ خديجَةُ أيْضاً أَنْ تُعكِّرَ علىٰ زَوْجها طمأنينَتهُ وهدوءَهُ بمخاوِفها مِنْ زَوْجَةِ أبي لهبٍ وَتَمَّتِ المُوافقَةُ، وَبَارَكَ محمّدٌ ابنتَيْهِ، وَأَعْقبَ ذلك فَرْحَةُ العُرس والزّفافِ، وانْتَقلَتِ العروسان في حراسَةِ اللهِ إلىٰ بَيْتٍ آخرَ وَجوٍّ جديدٍ.

الرَّجلُ بِنَخْوَتِه ومروءَتِهِ

وما كادَ رسولُنا محمّدٌ ﷺ يَتلَقَّىٰ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَيَدْعو إلى الدِّينِ الجديدِ ، حَتَّى ائْتَمرتْ قريْشٌ بالرَّسُول، وَسَلكَتْ ضِدَّهُ أَبْشَعَ السُّبُلِ في اضطهادِهِ، وَزَادتْ عَلى ذلِكَ أَنْ أَرْسَلتْ إلى أَصْهِرَتِهِ الثَّلاثَةِ (أبي العاصِ ، وَعُتْبَةَ وعتيبة) مَنْ يطلبُ إليهم مفارقة بناتِ الرَّسولِ ، فأمّا أبو العاصِ

فَرَفَضَ طلبَهم مُـؤْثراً صَـاحبتَهُ زَيْنَبَ عَلىٰ نِسـاء قريشٍ جميعـاً، وَقَدْ رَأَيْنـاهُ كَيفَ آمَنَ في نهاية المَطَـافِ وَجمَعَ اللهُ شَمْلَ الأحِبَّـةِ. وَأَمَّا عُتْبَـةُ وَعُتَيْبَةُ فَلَقَـدْ تكَفَّلتْ أُمُّ جَميل بـالأَمْـرِ دُونَ أَنْ تحْتَاجَ لطَلَبٍ مِنْ أَحَـدٍ. وَلِسَـانُهَا كفيلٌ وَحْـدَهُ أَنْ يُثِيرَ حفيظَـةَ زَوْجِهـا على البِنْتَيْنِ البريئتَيْنِ، وَتجْعَلَـهُ مَسْلوبَ النَّخْـوَةِ أَمَامَهـا، وفَاقِـدَ الإرادة، يَسيرُ نَحْـوَ وَلَـدَيْـهِ ليقُـولَ لهما في سُخْفٍ وَدَنَـاءَةٍ: (رَأْسِي مِنْ رَأْسَيْكُما حَرَامٌ، إنْ لَمْ تُطَلِّقَا ابْنَتَيْ محمّدٍ).

وَأَحسَّتْ أُمُّ جَميلٍ أَنَّها قَـدْ شَفَتْ غليلَهـا مِنْ خَـدِيجَة وَمحمَّدٍ وبنتَيْهِ، وَبِئْسَ مَا فَعَلَتْ.

المؤْمنُ يَسْتَعْذِبُ التَّضْحِيَةَ

ولم يَكْفِهـا أَنْ رَدَّتْ رقيَّـةَ وأمَّ كلثـوم مُطَلَّقَتَيْن، بَلْ خَرَجَتْ ومعهـا زوجُها أَبُو لَهَبٍ (الـذي شَذَّ عَنِ الأعمام وآل هـاشم، فَقَـد جمَعَ بَيْنَ الكُفْـرِ وَعَـداوَةِ ابْنِ أَخيـهِ)،

وسارت وإيَّاه يَشْتُمانِ محمّداً، ويُؤذِيانِه، وَيُؤَلِّبانِ النَّاسَ ضِدَّهُ، وَقَدْ صَبَرَ الرَّسُولُ ﷺ على أذاهما. وكذلك صبرت رقيَّةُ وَأُخْتُها، مع أبيهما، وهما تَريان أباهما يُعاني وَيُقاسي مِنْ أذىٰ قريشٍ، وَيُتابع دعْوَتَهُ صابراً مُحْتَسِباً.

وَإنَّهُ لمما يُشَرِّفُ الابْنَ أنْ يُشاطِرَ أبوَيْهِ ما يَلْقَيانِهِ مِنْ أذىً وَألَمٍ إنْ كانا عَلى الحقِّ. وهَذا يا أَحِبَّائي مَا فَعَلَتْهُ رقيَّةُ وأُمُّ كُلْثُومٍ، وَقَدِ ارْتَاحَتْ نَفْساهُما لاحتمالِ كُلِّ صُنُوفِ الاضطهادِ القرشيِّ، واسْتَعْذَبَتَا الألَمَ والتَّضْحِيَةَ، وحمدتا اللهَ أَنْ أَراحَهُما مِنْ ذاكَ الكَرْبِ، ونجّاهُما مِنْ أُمِّ جميلٍ حمَّالَةِ الحطَبِ.

تَرْضَوْنَ دينَهُ وَخُلُقَهُ

وَأَذِنَ اللهُ لرقيّةَ أَنْ تُرْزَقَ بَعْدَ صَبْرِها زَوْجاً صالحاً كريماً مِنَ النَّفَرِ الثمانيةِ الذين سَبَقُوا إلى الإسلام، وَأَحَدِ العشرةِ المبشَّرينَ بالجنَّةِ، ذلكَ هُوَ (عثمانُ بنُ عفّانَ)

صاحبُ النَّسَبِ العريق، والطَّلْعَةِ البهيَّة، والمالِ الموْفُورِ، والخُلُقِ الكريم. والذي أَعَزَّهُ اللهُ في الإسلامِ سبْقاً وَبذْلاً وَتَضْحِيَةً، وَأَكْرَمَهُ بما يُقْدِمُ عَلَيهِ مِنْ شَرَفِ المُصَاهَرَةِ، وما كانَ الرَّسُولُ الكريمُ ليبْخَلَ على صحابيٍّ مثل عثمانَ بمصاهَرَتِهِ، وسرعَانَ ما اسْتَشَارَ ابْنَتَهُ، فَفَهِمَ منْهَا الموافقَةَ عنْ حُبٍّ وَكَرَامَةٍ، وَتَمَّ لعثْمانَ نَقْلُ عَرُوسَتِهِ إلى بيْتِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ قُرَيْشاً لَنْ تُشَارِكَهُ فَرْحَتَهُ، وَسَوْفَ تَغْضَبُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الغَضَبِ. ولكنَّهُ الإيمانُ يَفْديه عثمانُ بالقَلْبِ وَيَسْأَلُ رَبَّهُ القُبولَ.

وَدَخَلَتْ رقيَّةُ بَيْتَ الزَّوْجِ العزيز ، وهيَ تُدْرِكُ أَنَّها سَتُشَارِكُهُ دَعْوَتَهُ وَصَبْرَهُ. وأَنَّ سَبيلاً صَعْبَةً سَوْفَ تَسْلُكُها مَعَهُ دُونَ شَكٍّ إلى أَنْ يتمَّ النَّصْرُ لأبيها وأَتْبَاعِهِ. وَقَدْ لاَ تُدْرِكُهُ فَمَنْ يَدْري كَمْ هُوَ عُمُرُ الإِنْسَانِ في هَذِهِ الحياةِ؟!..

الأَيَّامُ تَخْتَبِرُ النُّفوسَ

ودارت الأَيَّـامُ لكَيْ تَخْتَبِرَ صِدْقَ المؤمنينَ، وَتَشْهَـدَ أَنَّ أَتْبَاعَ محمّدٍ قَـدْ تَحَمَّلوا الكثيرَ مِنْ أَذَى المشركين، وَيَأْذَنُ الرَّسُـولُ لأَصْحَابِهِ بـالهجْرَةِ إلى الحبشَـةِ أَرْضِ الصِّدْقِ، عَلَّهُمْ يجدونَ فَرَجـاً مما هُمْ فيهِ. وَيَكـونُ عُثْمانُ وَرُقيَّةُ أَوَّلَ مَنْ هَاجَـرَ عَلى قُرْبِ عَهْدِهِمَا بالزَّواجِ، وَنَظَـرَتْ رقيَّةُ مَعَ زَوْجِهـا نَظْرَةَ وَدَاعٍ على البَلَـدِ الحبيبِ. وَتَمَالَكَتْ دَمْعَهـا قليلاً، ثُمَّ صَعُبَ ذلك عليهَـا، فبكَتْ وهي تُوَدِّع أَبَـاها وأُمَّهــا وَأَخَـواتِها الثَّـلاثَ زَيْنَبَ وَأُمَّ كلثـوم والصغيرةَ فَاطمَـةَ، ثُمَّ سَارَتْ رَاحِلَتُهـا مَعَ تِسْعَةٍ من المهـاجرين، مُفَارِقَةً الأَهْلَ والأَحْبابَ، وعثمانُ يا أحبَّتي أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ. ثُمَّ تَـوَافَدَتْ بَعْـدَ ذلك الأُسَرُ المؤْمِنَةُ. فَـوَجدتْ رقيَّةُ في ذلك بَعْضَ العَـزاءِ والمواسَاةِ، لكنَّهـا ظَلَّتْ أَبَداً تَنْزِعُ إلى مكَّـةَ وَتَحِنُّ إلى مَنْ تَـرَكَتْهُمْ بها، وَظَلَّ سَمْعُهـا

مُرْهَفاً يَتلَهَّـفُ إلى أَنْباءِ أبيها الرَّسُـولِ، وَصَحْبِهِ الكرام. وَلَقَدْ أَثَّرتْ شدَّةُ الشَّوْقِ والحنين على صِحَّتها، فَأَسْقَطَتْ جَنينَها الأَوَّلَ، وَخِيفَ عَلَيْهَا مِنْ فَرْطِ الضَّعْفِ والإِعْيَاءِ، وَلَعَلَّ مما خَفَّفَ عَنْهـا الأَزْمَةَ الحرجَةَ رعايـةَ زَوْجِها وحبَّهُ وعَطْفَ المهاجرين وعنايَتَهُمْ.

ومكَّةُ محطُّ الأخبار

وَصَلَتْ إلى الحَبَشَةِ شَائِعَاتٌ كاذِبَةٌ، تَتَحَدَّثُ عَنْ إيمانِ قُرَيْشٍ بمحمَّـدٍ، فَلَمْ يَقْوَ بَعْضُ المهاجرين عَلىٰ مُغَـالَبَةِ الحنينِ المُسْتَشـار ، وَسرْعَـانَ مَـا سَـارُوا في ركْب متَّجهين نَحْـوَ مَكَّةَ، وَيَتَقَـدَّمهُم عُثْمانُ ورقيَّـةُ، ولكنْ يَا لَلْخَيْبَـةِ المريـرةِ، فما أَنْ بَلَغُوا مَشَـارِفَ مَكَّةَ، حَتَّى أَحَـاطَتْ بِهِمْ صَيْحَاتُ الوعيدِ والهَلاَكِ. وَطَـرَقَتْ رقيَّةُ باب أَبيها تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ ، فَسَمِعَتْ أَقْدَامَ فاطمةَ وأُمِّ كلثومٍ، ومَا أَنْ

فُتِحَ البابُ حَتَّى تَعانَقَ الأَحِبَّةُ، وانْهَمَرَتْ دُمُوعُ اللِّقاءِ، ولكنْ أَيْنَ أُمي يا فَاطِمَةُ؟ أَيْنَ أُمي يا أَبي؟.

وَأَقْبَلَ الأَبُ على ابْنَتِهِ يَحْنُو عَلَيْها وَيُسْعِفُها لتَثُوب إِلى السَّكِينَةِ والصَّبْرِ، فَالأُمُّ خَديجةُ قَدْ قَاسَتْ مع الرَّسولِ وآلِ هاشم كثيراً من الاضطهادِ مَعَ أَنَّها لَمْ تُهاجِرْ، وَقَدْ أَلْقَاهَا المرضُ طريحةَ الفراشِ، لتودِّعَ الدُّنْيا وابْنَتُها ما تَزالُ غائبةً في الحبشة.

رحمكِ اللهُ يا أُمِّي.. وَما أَوْحَشَ الدّارَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْكِ مجاهدةً، وَمُسْلِمَةً .. وداعيةً مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ بَيْنَ المجاهدين المسلمين.

الذُّرِّيَّةُ مَصْدَرُ أُنْسٍ

وَلَمْ يَطُلِ المُقامَ بِرُقَيَّةَ في مكَّةَ. ففي العامِ الثَّالِثِ عَشَرَ للبِعْثَةِ، كَانَ أَكْثَرُ المؤمنين من أهلِ البيتِ الحرامِ قَدْ

وَصلُـوا إلى المدينـةِ المنوَّرةِ، يَنْتَظِـرُون نبيَّهُـمْ محمّـداً ليأْتي إليهم وإلى إخوتهم الأنصـارِ مهاجراً مجاهـداً. وَهُناكَ في المدينَـةِ، جلَسَتْ رُقيَّـةُ مَـعَ زَوْجِهـا عُثْمانَ، وَوَضَعَتْ مَوْلُودَهَا الجميلَ عَبْدَ الله.. مَا أَحْلاهُ وَمَا أَبْهاه!! وَمَا أَشَدَّ أُنْسَـهُ في دارِ الهجرةِ!! لَقَـدْ سَلَّمَهُ اللهُ بَعْـدَ أَنْ سَقطَ مِن سَنَـواتٍ الجنينُ الأَوّل، وَلَعَلَّ فيـه شبهـاً لجدَّتِـهِ خـديجة رحمها اللهُ، لذلك راحَتْ رقيَّـةُ تَمْلأُ عَيْنَها مِنَ النَّظَرِ إلَيْهِ، وَشفتَها مِنْ تَقْبيلِهِ، تَنْسىٰ بِهِ مَرارَةَ فَقْدِها لجنينِها، وَلَوْعَةَ مُصابِها في أُمِّهـا، وَمَـا قَـاسَتْـهُ فِي هجْـرَتِها وهي بَطَلَـةُ الهجرَتَيْنِ مِنْ شجن الغربَةِ.

أَعْظَمَ اللهُ لَكِ الأَجْرَ يا بنْتَ رسولِ اللهِ ﷺ ، وَيا زَوْجَة صحابيٍّ كـريم سَبَّاقٍ إلى الإسلام، وهنيئـاً لَكِ مَـوْلُودُك عَبْـد الله، وليبارِكْ اللهُ لـلأَبـوَيْنِ هَذِهِ الـوديعـةَ الغاليـةَ والأمـانةَ الجميلـةَ، هديـةً مِنْ عِنْدِهِ ، وكَـرَماً مِنْ فَضْلِـهِ سبحانه وتعالىٰ .

الفرحُ وليدُ الإِيمان

وَيَبْدَأُ صِرَاعٌ جَديدٌ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ، وَتَرى رقيَّةُ بَوَادِرَ النَّصْرِ لأبيها، فاللهُ عزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ لهُ ولِلْمُؤْمِنين أَنْ يُقَاتلوا المشركين ، وَيَدْعَمُوا بُنْيَانَ المجتمعِ الإِسلاميِّ الجديدِ الذي بَنَوْهُ بأَيْديهم في المدينة.

مَا أَكْرَمَ نَصْرَكَ يا ربُّ!! وَمَا أَحْلىٰ عَوْنَكَ يَمْتَدُّ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ ، ليفْرَحَ قَلْبُ رَسُولِك، وَقُلُوبُ عِبادِكَ المؤمنين، وَإِنَّكَ لأَهْلُ الكَرَمِ وَالنَّصْرِ وَالْعَوْنِ. وَيَنْظُرُ الرَّسُولُ ﷺ إلى وَجْهِ ابْنَتِهِ، فَيَرى فيه مَلاَمِحَ السُّرُورِ، وَيَفْرَحُ لِفَرحها، وَيَسْأَلُ اللهَ لَها وَلِوليدِها وَلِزَوْجِها حَيَاةً هانِئَةً سعيدَةً، وَكَثيراً ما كان يُقْبِلُ على حفيدِهِ عَبْدِ اللهِ ليحملَه بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ لابْنُ مجاهِدَةٍ عظيمةٍ، ومجاهدٍ عظيمٍ، وَقَدْ آن لأَبَوَيْكَ أَنْ يَسْعَدَا بِكَ بَعْدَ طُولِ غُرْبَةٍ ومرارةِ هجرةٍ قاسيةٍ، وتردُّ

رقيَّةُ النَّظْرَةَ إلى أبيها بعينٍ مُشرقةٍ هـانئةٍ. تشكُرُهُ فيها على لُطْفِ حَنَانِـهِ ومواسـاتِهِ، وَتَـرىٰ فيه العِوضَ عَـنْ كُلِّ مَا أَصابَها مِنْ خُطُوبٍ ونِعْمَ العِوضُ أبوها رسولُ اللهِ ﷺ.

الموتُ نهايةُ المخلوقاتِ

وَيَنْمُو عَبْـدُ اللهِ ابْنِ المجاهدَيْنِ العظيمَيْنِ نُمـوّاً طيِّباً، ولكنَّ شدَّةَ العنايةِ قَدْ تُوقِعُ في ما يحذرُهُ الإنْسَانُ أَحْيَاناً، فما بَالُ عَبْدِ اللهِ يميلُ نَحْوَ الهُبُوط، وَتَذْبُلُ رَيحانَتُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ وَرْدَةً يَفُوحُ عِطْرُها، وَيزْكُو أَرِيجُها. ياللهِ.. ما أَصْعَبَ المُصَابَ!! رُحْمَاكَ يا ربُّ، لَيْـسَ لَنا إلاَّ الصَّبْرُ والسُّلْوان، فَأَمَـانَتُكَ ووديعَتُكَ الغاليـةُ هي ملكُكَ، تَأْخُذُهـا متىٰ تَشَاءُ ، وَأَخَذَ الزَّوْجانِ يَـرْقُبانِ بِعينٍ دَامِعَةٍ، وَقَلْبٍ حزينٍ سكراتِ المَوْتِ يُغَـالبُها الصَّغيرُ بصُعُوبَـةٍ تَقَطَّعُ الفُؤادَ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ هي المرَّةَ الأولىٰ التي تَـرىٰ فيها رُقيَّةُ صغيراً يُصارِعُ المَوْتَ، فَقَدْ عَرفَتْ مِثْـلَ هذا المَشْهَدَ مرتَيْنِ وهي

صغيرةٌ عندما ماتَ أَخواها القَاسِمُ وَعَبْدُ الله.. لكنَّها اليومَ تُدْرِكُ أَنَّ أُمَّها كانَتْ علىٰ حقٍّ عندما بَكَتْهُما، فَحَنَانُ الأُمَّهاتِ لايُعادِلُه حنانُ الأَخواتِ..

وماتَ ابْنُ رُقيَّةَ أخيراً، وَبَكَتْهُ أُمُّهُ وَبكاهُ أَبُوهُ، وافْتَقَدَ جَدُّهُ بموْتِهِ ذلك الحملَ الوديعَ الذي كان يحمِلُهُ بَيْنَ يديهِ كلَّما زارَ بَيْتَ ابْنَتِهِ.

يحقُّ لَهُ البُكاءُ

وَلَيْسَ لِرقيَّةَ سوىٰ الصَّبْرِ وَحُسْنِ التجمُّل بِهِ، ولكنَّ كَثْرَةَ ما أَصَابَها في حَيَاتِها مِنْ مَصَائِبَ عِنْدَ أُمِّ جميلٍ، وفي الحَبَشَةِ، وَغيْرِ ذلك كانَ لَهُ أَكْبَرُ الأَثَرِ في أَنْ تمْتَدَّ إليها يَدُ المَرَضِ، والضَّعْفِ، وَلَقَدْ آنَ لِجِسْمِهَا أَنْ يَسْتَرِيحَ علىٰ فِراشٍ أَعَدَّهُ لَها زَوْجُها عثمانُ، وَجَلَسَ بقُرْبِها الزَّوْجُ الكريمُ يمرِّضُها ويَرعَاهَا، ويَرىٰ في وَجْهِها أماراتِ مَرَضٍ شديدٍ وأَلَمٍ قاسٍ تُعانيهِ، وكثيراً ما أَشَاحَ بوَجْهِهِ

لكيْ يُمْسِكَ دَمْعَةً تُرِيدُ أَنْ تَنْهَمِرَ ، وَلَقَدْ كانَتْ رقيَّةُ تُحسُّ هذا، فَتَتَجَلَّدُ، وَتَبْذُلُ ما أَمْكَنَها، لِكَيْ تَبْتَسِمَ له ابْتِسَامَةً تَصْطَنِعها حَتَّى تعودَ إِلَيْهِ إِشْرَاقَةُ وَجْهِهِ النَّضِيرِ..

وتَمرُّ السَّاعات بطيئةً، والأيامُ شديدةَ الوقْعِ، ولَمْ يجدْ عُثْمانُ أَمامَهُ إلا الدُّموعَ والحزْنَ، وَهُوَ يُدرِك أَنَّ المَرَضَ لَنْ يُمْهِلَ زَوْجَتَهُ، وأَنَّ المَوْتَ قَدْ بَاتَ على البابِ وشيكَ الدُّخُولِ يَسْتأْذِنُ ابْنَةَ رسولِ اللهِ في لُطْفٍ وَيُسْرٍ.. اللَّهمَّ عَوْنَكَ، وَغُفْرَانَكَ، وَرَحْمَتَكَ.. إِنَّكَ بكلِّ شَيءٍ عليمٍ.

المؤمنُ يعيشُ التّاريخَ

وفي هَذِهِ الأَثْناءِ يُنادي منادي الجهاد للقاءِ العدُوِّ في بَدْرٍ، وَيَوَدُّ عُثْمانُ، وَهُوَ السَّبَّاقُ إلى الإسْلامِ أَنْ يكُونَ سَبَّاقاً إلى الجهادِ، وَيَذْهَبُ إلى رَسُولِ اللهِ وفي نَفْسِهِ لَوْعَةٌ، وَحِرقَةٌ، يَسْأَلُهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ، وَيَراهُ رَسُولُ اللهِ وَقَلْبُهُ مُفْعَمٌ بالحنينِ إلى الجهادِ وَتَلْبِيَةِ الدَّاعِي الكريمِ،

لكنَّـهُ يَطْلُبُ مِنْـهُ أَنْ يَبْقىٰ إلى جَـانِبِ رقيَّـةَ يُمَـرِّضُهـا وَيَـرْعَاهـا.. وَلَئِنْ يَتَخَلَّف عُثْمانُ عَنْ شُهُودِ الشَّهَـادَةِ في بَدْرٍ مُكْرَهاً، فَإِنَّهُ سَيَجْلِسُ في بَيْتِهِ لِيَرىٰ وَيَشْهَدَ مَوْتاً آخرَ في أَعَزِّ مَنْ لَهُ.

وَيعُودُ عُثْمانُ إلى البَيْتِ، عَيْنُهُ علىٰ رقيَّةَ، وَقَلْبُهُ في بَدْرٍ، يَسْأَلُ اللهَ نَصْراً لرسُولِهِ وللمؤمنين، وأجْراً لَهُ على ما يُحِسُّ بِهِ ويُكابِدُهُ.

وَيَقْسُو المرضُ قَسْوَتَـهُ الأخيرة ، ويمدُّ الموْتُ يَـدَهُ في حُنُوٍّ وَرِفْقٍ، وَتَحطُّ رقيَّـةُ عيناها علىٰ زَوْجِها، لتَنْظُـرَ إليهِ آخرَ النَّظَراتِ، ولتغيبَ عَنِ الوُجُودِ، وهي تلْمِسُ أَنامُلَ يَـدِهِ، ويمدُّ عثمانُ يَـدَيْهِ ليغْمضَ عَيْنَيْهـا، وَيَحْنُو عليهـا ليلْثُمَ جبينَها وَأَنامِلَها باكياً حزيناً.

﴿ والصَّابرين في البأساء ﴾

وَيُصْغي عثمانُ إلى صَوْتِ البشيرِ عائداً مِنْ بَدْرٍ يُبَشِّرُ بالنَّصْرِ العظيمِ، ويختلِطُ الفَرَحُ بالبكاء، وَتَمْتَزِجُ الابتسامَةُ بالدُّمُوعِ.. وأَيَّةُ دُموعٍ.

فاطمةُ الآنَ حَوْلَ جُثْمانِ أُخْتِها تبكي وتبكي، وأمُّ كلثوم تحاولُ إبْعَادَهَا دُونَ جدوىٰ، وَزَيْنَبُ يَعْتَصِرُ قَلْبُها حُزْناً رغم بُعْدِها الآن فهي ما تَزَال في مكَّةَ عندَ أَهْلِ زَوْجِها، لا تدري هَلْ مَاتَ ابْنُ الربيعِ على يَدِ أَصْحَابِ أبيها رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أَمْ أَنَّهُ أَسيرٌ بَيْنَ الأَسْرىٰ المُساقين إلىٰ المدينة؟ وَيَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ، ليرىٰ رُقَيَّةَ ابنتَهُ راقدةً على فراشِها ، فَيُودِّعُها باديَ الحُزْنِ والأَسىٰ ، وَيَنْحَني في رِفْقٍ على ابْنَتِهِ فاطمةَ يَمْسَحُ دُموعَها بِطَرَفِ ثَوْبِهِ.

مَشْهَدُ فاطِمَةَ وَحْدَهُ يُوحي بكلِّ شيْءٍ، وَيَجْعَلُ القَلْبَ يَتَفَطَّرُ حُزْناً وأَلَماً، وإنها الأُخْتُ الصُّغرىٰ، فكَيْفَ لَوْ

كَـانَتْ زَيْنَبُ الكبرىٰ حاضِـرَةً، وهي التي رَبَّتْ أخـواتِها وَسَـاعَدَتْ أُمَّهـا في العنـاية بِهِنَّ؟ بَلْ كيْـفَ لَوْ كَـانَتْ خديجَةُ الأُمُّ شاهدةً احتضارَ ابنتِها ومَوْتَها؟

إنَّا للهِ وإنا إليه راجعون... وللهِ ما أعْطىٰ، وللهِ مَا أَخَذَ .. وكلُّ شَيءٍ عنْدَهُ بِمقدار، فَلْنَصْبِرْ وَلْنَحْتَسِبْ..

..وادْخُلي جَنَّتي

وَتَخْرُجُ النِّسـاءُ اللَّـواتي اجْتَمَعْـنَ حَـوْلَ جُثْمَانِ رقيَّـة، مجهشـاتٍ بـالبكـاءِ، لا يَسْتَطِعْنَ التجمُّلَ والصَّبْرَ ، وَيَـراهُنَّ عُمَـرُ بْنُ الخطَّابِ، وَقَـدْ هَـاجَ النَّحيبُ منهنَّ، فَيَـزجُـرُهُنَّ في عُنْفٍ محاولاً أَنْ يُـرْشِـدَهُنَّ إلى السَّكِينَـةِ خَشْيَـةً عَلَى قَلْبِ رسول اللهِ وابْنَتَيْـهِ فـاطمةَ وأُمِّ كلثـوم، وَرِفْقاً بقَلْبِ صـاحبهِ عُثْمانَ بْن عَفَّانَ، وَيَسْمَعُ الـرَّسُولُ زَجْرَ عُمَرَ للنِّسَاءِ، فَيَكُفُّـهُ عَنْهُنَّ برَحْمَتِهِ قائلاً: (مَهْما يَكُنْ مِنَ العَينِ وَمِنَ القَلْبِ فَمِنَ اللهِ والرَّحْمَةِ).

وَيشيِّعُ المُسْلِمُـونَ جُثْمَانَ بِنْتِ الرَّسُـولِ بَعْدَ الصَّـلاَةِ عَلَيْها، وَيُوارُونَ جَسَدَهَـا في الثَّرَىٰ الطَّيِّب باكِينَ، تَقْطُرُ أَفْئِدَتُهمْ دُموعَ الأَسى والحُزْنِ.

رَحِمَ اللهُ أُمَّ عَبْدِ اللهِ، وَزَوْجَةَ عُثْمانَ، وَبنْـتَ الرَّسُولِ.. صلَّى اللهُ عليهم وسلَّمَ أَجْمَعين.

رَحِمَ اللهُ رقيَّـةَ بَطَلَـةَ الهجـرتَيْنِ، وَرَحِمَ مَعَهَـا أُمَّهـا وَأَخَوَيْهَا وَابْنَها وَشُهَدَاءَ بَدْرٍ الأَبطالَ، وَسَلامٌ عليها وَعَلَىٰ كُلِّ مجاهـدٍ بَذَلَ مـا تَتَّسِعُ لَـهُ نَفْسُهُ مِنْ نُصْرَةٍ لـدينِ اللهِ وَدِفاعٍ عَنْ كَلِمَةِ الحقِّ والتَّوْحِيد إلى يومِ الدِّينِ.

أم كلثوم

ثاني النورين

by E-Shaykh, pls make du'aa for us



لَا تَنْسَنَا فِيْ الدُّعَاءِ

وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

هِيَ الأُخْتُ الثَّالِثَةُ من الأَخَـواتِ الأَرْبَعِ بَناتِ خديجةَ وَرَسـول اللهِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّـلامُ. وَأُمُّ كُلْثُومٍ كـانَتْ قريبـةً في السِّنِّ إلى رُقَيَّةَ، لذلكَ عـاشَتِ الاثْنَتانِ وَكَأَنَّهُنَّ تَوْأَمـانِ. وَمِنْ جَميلِ المُصادفَـةِ أَنَّهُما قَدْ خُطِبَتا معـاً، وَقَدْ عَلمْتُمْ في الحَلَقَةِ الماضِيَةِ أَنَّ وَفْداً مِنْ آلِ هَاشِمٍ قَدْ طَرَقَ بَـابَ الرَّسُـولِ ﷺ بَعْدَ أَنْ زُفَّتْ زَيْنَبُ إلى ابْنِ الـرَّبيعِ، وَلَقَدْ طَلَـبَ هَذا الوَفْـدُ مِنْ رَسُـولِ اللهِ أَنْ يَتْرُكَ رقيَّةَ وَأُمَّ كلثـوم عَرُوسَيْنِ جَميلَتَيْنِ مُنَـاسِبَتَيْنِ إلىٰ عُتْبَةَ وَعُتَيْبَـةَ ابْني العَمِّ أَبِي لَهَب، وَرَأَيْنَا يا أَحِبَّتِي كَيْفَ تَمَّ الأَمْرُ ، وَانتقَلَتْ رقيَّـةُ وأُخْتُها إلى بَيْتِ عَمِّهـا. وَكَيْفَ قَاسَتَـا مِنْ أُمِّ جميلٍ زَوْجَةِ العـمِّ التي كانَتْ تُـرَاقِبُ فيهما كُلَّ حركَـةٍ وَهَمْسَةٍ وكلمةٍ ونَظْرَةٍ.

وكَأَنَّ اللهَ قَدْ أَرَادَ بهما خَيْراً عِنْـدَما فَـارَقَهُما ابْنا العَمِّ، وَطَلَّقَـاهُما، فَقَدْ نَجّـاهُما والحمدُ للهِ مِنْ نكـدِ العَيْشِ مَعَ

حَمّالَـةِ الحطَبِ، وَزَوْجِها أبي لَهَبٍ بَعْدَ أَنْ بَـدَا مِنْ بيْتِ العَمِّ كُلُّ سُوءٍ في مُعاداةِ محمَّدٍ والِدِهِما وَأَتْباعِهِ المؤمنين.

لا بدَّ مِنَ الجِهادِ

وَبقيَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ مَعَ أُخْتِها رقيَّـةَ في بَيْتِ أُمِّهِما وأبيهِما تحاولانِ نِسْيَان تلكَ الفَتْرَةِ مِنْ حيَاتِهِما، وَتحْمَدانِ اللهَ أَنْ نَجَّاهُما مِنْ جوٍّ كَئِيبٍ لا فائِدَةَ مِنْهُ.

وَلَعَلَّ أُمَّ كُلْثوم قَدْ بَارَكَتْ لأخْتِها ماأكْرَمَها اللهُ بِهِ بَعْدَ عَوْدَتِهِما إلى بَيْتِ أبيها مِنْ زَوْجٍ شَريفٍ كريمٍ هُوَ عُثْمانُ ابْنُ عفَّانَ، وَوَدَّعَتْها عِنْدَما زُفَّتْ إليْهِ، وَبقيَتْ ولاَ أُخْتَ لها في البيتِ سِوىٰ فَاطِمَـةَ الصُّغْرىٰ، تجْلِسَانِ معاً وَتتَحادَثانِ ، وَتُشارِكانِ أُمَّ المؤمنين خديجَةَ عبئَها الجليلَ، وَتَسْتَقْبلانِ مَعَها البَطَلَ كُلَّ يَوْمٍ عنْدَما يَعُودُ بَعْدَ جَوْلَةٍ جديدةٍ مِنْ دَعْـوَتِهِ لكفَّارِ قُرَيْشٍ، وَتَرانِـهِ وَقَدْ بَدَتْ علىٰ جِسْمِـهِ الطَّاهِـرِ ، وثِيابِـهِ الحلوةِ، آثارُ الأذىٰ القرشيِّ، وتحيطانِ بِهِ في حُنُوٍّ، تحاولانِ أَنْ تَنفُضا عَنْهُ ذلك، وَأَنْ

تُروِّحا عَنْهُ وَتُواسياهُ ما اسْتَطاعَتا إلى ذلك سبيلاً. وَقاسَتْ أُمُّ كُلْثُوم يا أَحبَّائي كما تَرَوْنَ مع أبيها وأُمِّها مَرارَةَ العَداوَةِ، ثُمَّ دَخَلَتْ مَعَهما في شعْبِ أَبي طالِبٍ لتَذُوقَ أَلَمَ الحِصارِ هُناكَ، حَيْثُ رَأَتْ بعيْنِها ذُبُولَ والِدَتِها التي أَتْعَبَها الجهادُ، وَخارَتْ قِواها أيَّامَ ذلك الحِصار. فَجَلَسَتْ إلى جانبِها تُمَرِّضُها وَتَرْعاها فهي خيْرُ وَالِدَةٍ تَسْتَحِقُّ برَّ بناتِها وأولادِها.

مزيداً مِنَ التَّضحيةِ

وَبَدا لأُمِّ كُلْثُوم أَنَّ أُمَّها تحِسُّ دُنُوَّ الأَجَلِ، وَتُقاوِمُ الضَّعْفَ والمرَضَ بآخِرِ مُحاوَلَةٍ، وَتَتَمَنَّىٰ لوْ طالَ بها المُقامُ في هَذِهِ الدُّنيا مِنْ أَجْلِ الزَّوْجِ الحبيبِ محمّدٍ ﷺ، تُعينهُ وتَشُدُّ أَزْرَهُ، وَمِنْ أَجْلِ بِنْتَيْها أُمِّ كلثومٍ وفاطمةَ..

وَتُخَفِّفُ أُمُّ كلثومٍ علىٰ أُمِّها قائِلَةً: لاَ بَأْسَ عليكِ يا أُمَّاهُ، وَلَنْ يَنْسىٰ اللهُ جهادَكِ، وَبَذْلَكِ وَعَطاءَكِ، وَلَنْ

يَحْرِمَكِ مِنْ جُودِ كَرَمِهِ ونِعْمَةِ عَطَائِهِ وَفَضْلِهِ..

وَتنظُرُ الأُمُّ إلى ابْنَتِهَا مُبْتَسِمَةً وهي تَقُولُ: لَيْتَ الأَجَلَ يُمْهلُني حَتَّى تَنْجَلِيَ المحْنَةُ، فَأَمُوتَ قَريرَةَ العَيْنِ راضيَةً، وَلاَ بَأْسَ عَلَيَّ يَابْنَتي إِنْ شَاءَ اللهُ، وَحَسْبي أَنَّني أُمٌّ لبناتٍ مؤمناتٍ أَمثالِكِ. اللّهمَّ إني لا أَكْرَهُ لقَاءَكَ، ولكنِّي أَطْمَعُ في مَزيدٍ مِنَ التَّضْحِيَةِ لأكُونَ جديرةً بما أَنْعمْتَ عليَّ.

وَدَخلَتْ نَسْمَةٌ مِنَ البُشرَىٰ، فَقُرَيْشٌ قَدْ وافقَتْ علىٰ فَكِّ الحِصَارِ، وَسَمِعَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ تكْبيرَ المُحَاصَرينَ، وَرأَتْ فَرْحَةَ مَنْ تَجْلِسُ مَعَهُمْ في الشِّعْبِ، فَشَارَكَتْهُمْ بابتسامةٍ حلوةٍ مُشْرِقَةٍ.

ومزيداً مِنَ البُكاءِ

وَخَرَجَت البنْتُ المؤمنَةُ مع أمِّها وأبيها مِنْ حِصَارٍ مُؤْلِمٍ، وَجَلَسَتْ في البَيْتِ إلىٰ جانِبِ أُمِّها المريضَةِ التي أَوشَكَتْ على لِقَاءِ ربِّها بَعْدَ أن اطْمَأَنَّتْ علىٰ زَوْجِها

الحبيبِ، وَبَكَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ والِدَتَها المجاهِدَةَ، وهي تَفيضُ رُوحُها، وَشارَكَها البُكاءَ وَالِدُها الذي كانَ يُهَوِّنُ علىٰ زَوْجَتِهِ سَكَراتِ المَوْتِ، وَأُخْتاها زَيْنَبُ وَفاطمةُ اللَّتان أَحاطَتا بفراشِها تَتَزَوَّدان مِنْها قَبْلَ الرحيل..

وَبَكَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ أَيْضاً عَنْ أُخْتِها رقيَّةَ البعيدَةِ، وَتَمَنَّتْ لو كانت المهاجرةُ إلى جانبها ترىٰ أُمَّها قَبْلَ مَوْتِها، ثُمَّ كَفَّتْ عن البُكاءِ، وَكَأَنَّها تَدَّخِرُ الدُّموعَ إلى يَوْمِ عَوْدَةِ رقيَّةَ، فَإِنَّ إعْلامَها وإخبارَها بالأَمرِ يَحْتاجُ إلى قليلٍ مِنَ الدُّموعِ.

وَعادَ الأَبُ بَعْدَ تَشْييعِ جُثْمانِ زَوْجَتِهِ، لِيَضُمَّ إليه ابْنَتَيْهِ أُمَّ كلثومٍ وفاطمةَ، ولِيَنْظُرَ إلى زَيْنَبَ الكُبْرىٰ ورقيةَ يُواسيهِنَّ جميعَهُنَّ، ويُعينُهُنَّ على المُصابِ الفادِحِ، وَيرىٰ في وُجُوهِهِنَّ وَأَخْلاقِهِنَّ ثَلاثَ صُوَرٍ للفقيدة الغالية، رَحم اللهُ أُمَّهُنَّ، وَأَلْهَمَهُنَّ الصَّبْرَ والسّلْوانَ، وَأَعانَ رَسُولَنا على المُصابِ.

في سبيلِكَ ياربّ

وتمرُّ سَنواتٌ ثـلاثٌ، لتودِّعَ أُمُّ كلثومٍ أَبَاهـا الذي أَذِنَ اللهُ لَهُ بـالهجْرَةِ، ولتبْقَىٰ في مكّةَ معَ أُخْتِها فـاطمةَ حَيْثُ سَيأْتي أَحَدُ الصَّحَابَةِ مِـنْ يَثْرِبَ لأخْذِهما إلىٰ هُناكَ.. وفي هـذه الأَثْنـاءِ، كانَتِ الـدَّقَـائِقُ تمرُّ علىٰ قَلْبِ أُمِّ كُلْثُـومٍ بطيئةً، وَإذا مَـا أَحَسَّتْ بالضيِّقِ وَأَهَـاجَتْهَا الذكْـرياتُ ذَهَبَتْ إلى بيْتِ أُخْتِها زيْنَبَ، أَوْ أُختِها رقيَّةَ التي عَادَتْ إلى مكَّةَ مِن الحبشة وَتُوشكُ أَنْ تَرْحَلَ إلىٰ المدينةِ المنوَّرةِ، وهناكَ عِنْـدَ الأُختَيْنِ الحبيبتَيْنِ تجدُ ما يُـواسيها وَيُـؤْنِسُ وحْشَتَها ووحْدَتَها مَعَ فاطمةَ في البَيْتِ المهجور ..

وَآنَ الأَوانُ أَخيراً لِترْحَلَ البنْتَـانِ إلى المَدِينَـةِ، وَتُغْلِقُ أُمُّ كُلْثُومٍ بَابَ الدَّارِ، وَتُودِّعُ مَـاضيها الطَّوِيلَ، وتُمسِكُ بيد أُخْتِهـا الصُّغْرىٰ فَـاطِمَـةَ، وَتَسْعَى مَعَهـا إلى قَبْرِ أُمِّهِما تبكيانِ قليلاً، ثُمَّ تمْضِيَانِ بعَـوْنِ اللهِ وحمايَتِه. وَقَدْ خَفَّفَ عَنْهُما مُصَـابَ الفراقِ أَنَّهُما ذاهِبتَـانِ إلىٰ أبيهِما الرَّسُـولِ.

وَأَنَّ أُخْتَهُما رقيَّة لا بُدَّ وستَلْحَقُ بهما مَع زَوْجِها عُثْمَانَ عمّا قريبٍ، ولم تَنْسَ البنتُ المؤمنةُ (أُمُّ كلثومٍ) الدُّعَاءَ لأُخْتِها زَيْنَبَ أَنْ يَشْرَحَ اللهُ صَدْرَ زَوْجِها ابْنَ الربيع إلى الإسْلاَمِ حَتَّى يجْتَمعَ الشَّمْلُ وَيلْتَئِمَ الجُرْحُ.

﴿وإنَّا إليهِ راجِعون﴾

وفي المدينةِ جَلَسَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ تَرْقُبُ أَحْدَاثَ الجهادِ مَعَ أُخْتِها فاطِمَةَ، وَتُصْغي إلىٰ أَخْبارِ الانْتِصاراتِ، وَاسْتَقْبلَتْ بَعْدَ مدةٍ مِنَ الزَّمَنِ أُخْتَها رقيَّةَ مهاجرةً مِنْ مَكَّةَ، وَأَخذَتْ تَعُدُّ الأَيَّامَ وترى أنها تَسير متلكِّئةً بطيئةً، وَتَسْأَلُ ربَّها أَنْ تَبْقَىٰ كَلمةُ الرِّسَالَةِ مَرْفُوعَةً عاليةً، وَأَنْ تَسْتَمِرَّ الانْتِصَاراتُ الغالِيَةُ في سَيْرِها المبارَكِ، وَخُطْوَاتِها الحقيقيةِ.. لكنَّ أَمْراً لَمْ يَكُنْ في الحِسْبَانِ، فَقَدْ خَيَّمَتْ علىٰ بَيْتِ عُثْمَانَ سَحَابَةٌ مِنَ الكآبَةِ، (مَاتَ ابْنُ أُخْتِها عبدُ اللهِ، ثُمَّ ما لَبِثَتْ رقيَّةُ أَنْ مَرِضَتْ بَعْدَ فقدِ وَلَدِهَا).

وَرَاحَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ وفاطمةُ تَتَرَدَّدَانِ على بَيْتِ أُخْتِهِما المريضةِ تَرْعَيَانِها وتُواسيانِها وتُخَفِّفانِ عَنْها عِبْءَ الحُمَّىٰ وَأَلَمَها وَقَسْوَتَها، وَتَدْعُوانِ اللهَ لَهَا بِالشِّفَاءِ العَاجِلِ، وَذَهَابِ البَأْسِ. وَيأتي القَضَاءُ الذي لا مَفَرَّ مِنْهُ!! وَتَمُوتُ رقيَّةُ صريعَةَ الحمَّىٰ القاسية، وَيَعُودُ المُسْلِمُونَ مِنْ بَدْرٍ مُنْتَصِرِينَ، وَيَرُوعُهُمْ فَقْدُ بنْتِ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَمْتَزِجُ فَرْحَةُ النَّصْرِ بدُمُوعِ الحزْنِ، وَيَا لِلْفَقِيدَةِ الغَالِيةِ.

لا نَعْلَمُ الغيْبَ

ولمحتْ أُمُّ كُلْثُومٍ زَوْجَ أُخْتِها الفقيدَةِ وَهُوَ يَبْكي البكَاءَ المرَّ وَيُلازِمُ أَبَاها يَلْتَمِسُ لديْهِ العَزَاءَ عَنْ رقيَّةَ الغَالية..

وتبكي الشَّقيقةُ هَذِهِ المرَّةَ عَنْ أُخْتِها زَيْنَبَ التي لَمْ تَشْهَدْ مَوْتَ رقيَّةَ، وتَذَكَّرَتْ كَيفَ بَكَتْ مِنْ قَبْلُ في مَكَّةَ عَنْ رُقيَّةَ التي كَانَتْ مُهاجرةً في الحبشةِ لم تَشْهدْ مَوْتَ الأُمِّ خديجة ، وَلاَ تَسْأَلُوا يَاأَحِبَّائِي كَمْ قَاسَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ

مِنْ فِراقِ أُختِهـا التي كانَتْ وَإِيّـاها كـالرُّوحِ الـوَاحِدَةِ، تَرَعْـرَعَتا معـاً، وَخُطِبَتَا إلى بَيْتِ العـمِّ معاً، وَطُلِقَتـا معاً، وَشَـارَكَتا أُمَّهُما جِهَـادَها معـاً، واجْتَمَعَتا في دارِ الهجْـرَةِ معاً، وَمَنْ يَدْرِي فَقَدْ يَجْمَعُها الزَّمانُ والمُسْتَقْبَلُ مَعَ طَيْفِ أُخْتِها في بَيْتِ عُثْمانَ معاً بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ أُخْتُها اليَوْمَ..

إنَّ الموقف المُشْتَرَكَ لَيَذْهَبُ اليومَ، ولكِنْ ليَعُودَ بشَكْلٍ آخَـرَ، هَلْ سَتَكُـونُ أُمُّ كُلْثُـومٍ مِنْ نَصيبِ عُثْمانَ؟ وَهَلْ سَيَفْقِدُها عُثْمانُ كما فَقَدَ أُخْتَها؟..

هَلْ هُناكَ حَقّاً خَيْطٌ خفيٌّ سَيَرْبطُ بَيْنَ الشَّقِيقَتَيْنِ رغم مَوْتِ رقيَّةَ؟ رُبَّما..

أنيري البَيْتَ مِثْلَها

ويتحقَّقُ هَـذا يا أَحبَّتي ، فَقَدْ كَتَـبَ اللهُ لأُمِّ كُلْثُومٍ أَنْ يخطبَها عُثْمانُ ليجمَعَها مع طَيْـفِ أُخْتِها. ويتمُّ عقْدُ الـزَّوَاجِ، عَلَى صَدَاقٍ مثْلِ صَـدَاقِ رقيَّةَ مِنْ قَبْلُ، وَيَنَـالُ

عُثْمانُ الشَّرَفَ مَـرَّةً ثَـانيـةً، فَهَـذا نُـورٌ ثَـانٍ مِـنْ بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ يَدْخُلُ دارَهُ.

وَتَخْرجُ العـروسُ منْ بَيْتِ أَبِيها إِلى بَيْتِ زَوْجِها، وَقَـدْ كَانَتْ تَزُورُ هَذا البَيْتَ في أَيَّامٍ سَبقَتْ هَذا اليَوْمَ، لكنَّها اليَوْمَ تَدْخُلُـهُ وَعلَيْهَا ثَوْبُ عُرْسٍ، لاَ ثَـوْبُ زيارَةٍ، وَمَنْ يَـرىٰ ثَـوْبَ العَـرُوسِ لاَ يَشُكُّ أَنَّـهُ شَبيـهٌ بـذاكَ الـذي دَخلَتْ بِهِ رقيَّةُ، ولا يَرىٰ في صَاحِبَتِهِ إلاَّ شِقَّ التوْأَمِ، بَلْ ولَكأنَّها رقيَّةُ رحمَها اللهُ.. وَمَا أَحْلى الشَّبهَ وَمَا أَزْكاهُ!!

وَعِنْـدَ البـابِ، اسْتَعَـادَتْ شَريطَ ذكـريـاتٍ بعيـدةٍ، شَريطَ الموقف والحظِّ المُشْتَرَكِ، وَأَمْسَكَتْ دُمُـوعَهَـا أَنْ تَنْهَمِـرَ ، وَقالَتْ في نَفْسِهـا: (لَمْ يَبْقَ يا رقيَّـةُ إلا أَنْ أَلْحَقَ بكِ وَأَمُـوتَ كما نـابَكِ قَبْلي، حَتَّى يَجْمَعَنـا المَوْتُ كَما جَمَعَتْنا الحياةُ..). مَا أَصْعَبَ دُخُـولَكِ يَا أُمَّ كُلْثُوم،ولَكنِ ادْخُلي إلى حَيْثُ كَـانَتْ، وَكُـوني زَوْجَـةً وَفيَّةً كَما عَـرَفَهـا عُثْمانُ، وَشَاركيها في إِنارَةِ هَذا البيتِ الكريمِ.

إِنَّها مشيئةُ اللهِ

وَيَشَاء اللهُ تعالىٰ أَنْ تَطُولَ مدة أُمِّ كُلْثُومٍ عنْدَ عُثْمانَ (ذي النُّورَيْنِ)، فَقَدْ شَهِدَتْ سنواتٍ ستّاً مليئةً بانتصاراتٍ عظامٍ، رأتْ فيها الإِسلام يَنْتَشِرُ، وتَتَّسِعُ دائرتُهُ وَرَأَتْ أَبَاها يَخْرُجُ بطَلاً مِنْ مَعركةٍ ليدخُلَ بطَلاً في أُخْرىٰ، مُؤَيَّداً مُظَفَّراً، وَرَأَتْ زَوْجَها يُشارِكُهُ الجهادَ والتَّفاني في سبيلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الكُبْرىٰ، وَلَعَلَّهَا قَدْ سُرَّتْ بهجْرَةِ أُخْتِها زَيْنَبَ إلىٰ المدينةِ بَعْدَ غزْوَةِ بَدْرٍ، وَشَارَكتْها دُعَاءَها أَنْ يهديَ أَبَا العاصِ بْن الرَّبيع فَيَجْعَلَهُ مثْلَ عثمانَ من المسلمينَ المجاهدين، وَلَعَلَّهَا أَيْضاً قَدْ بَكَتْ عنْدَما سَأَلَتْها زَيْنَبُ عَنْ رُقيَّةَ، مِثْلَ سُؤال رقيَّة عَن الأُمِّ خديجةَ مِنْ قَبْلُ في مكَّةَ، وَإِنَّ هَذَا لَمَوْقِفٌ صَعْبٌ تكرَّرَ في حَيَاةِ أُمِّ كلْثُوم مرَّتَيْنِ، لكنَّ ما يَصْعُبُ عليها أَكْثَرَ أَنَّ رُقَيَّةَ التي سَأَلَتْها في المرَّةِ الأُولىٰ عَنْ أُمِّها قَدْ مَاتَتْ عَلىٰ مَرأى مِنْها، ثُمَّ ما لبثَتْ زَيْنَبُ التي سَأَلَتْها في المرَّةِ

الثَّـانية عَنْ أُخْتِهـا رقيَّة أَنْ مَـاتَتْ بَعْدَ إيمانِ ابنِ الـرَّبيعِ بعامٍ واحـدٍ، وَهَذا مِمَّا جَعَـلَ أُمَّ كُلْثُوم أَقْرَبَ إلىٰ شَفَـافيةِ القَلْبِ وَسُرْعَةِ الحَسَـاسِيَّة وَانْهِمارِ الدُّمُوعِ مليئةً بأَقْدَسِ معاني الحبِّ والإيمانِ والصَّبْرِ .

وقد يَحْدُثُ المكروهُ

وَقَـدْ يَسْأَلُني بَعْضُكمْ يا أَحِبَّتِي قَـائِلين: أَلَمْ يحدُثْ في حياةِ أُمِّ كُلْثُومٍ عندَ عُثْمانَ مـا تكرَهُـهُ في هذه المدَّةِ التي عاشَتْها عِنْدَهُ؟..

وَأَرَاكُم يـا أَعِـزَّائي تذكّـرونني بِيَـوْمِ صُلْحِ الحديْبيَـةِ، فَقَبلَ عَقْـدِ الصُّلْحِ طَلَبَ الـرَّسُولُ مِنْ صِهْـرِهِ عُثْمانَ أَنْ يَـذْهَبَ إلىٰ قُـرَيْشٍ فيخبرهم غـايَـةَ الـرَّسُـولِ في مجيئـهِ مُعْتمراً إلىٰ مكَّـةَ لا مُقاتـلاً. ولكنْ ما إنْ ذَهَبَ عثْمانُ في مهمَّتِـهِ، حتَّى أَمْسَكَتْ أُمُّ كلثومٍ قَلْبَهـا وَهي تَخْشىٰ علىٰ زَوْجِهـا غَدْرَ المشرِكين، وَسَـاوَرَهَـا القَلَقُ، وَأَحَسَّتْ بأَنَّ

غيابَ زَوجِها قدْ طَالَ، وَهَذا الأَمْرُ هُوَ الوحيدُ الذي تَمَنَّتْ بنْتُ الرَّسُولِ أَنْ لَوْ لمْ يَكُنْ، فهي تحبُّ أَنْ يَتَشَرَّفَ زَوْجُها بمهمَّتِهِ يَبْعَثُهُ فيها الرَّسُولُ، لكنَّها خَافَتْ عليْهِ طُولَ غيابِهِ، وَيَا لَيْتَ الأَمْرَ قَدْ وَقَفَ عِنْدَ هَذا الحدِّ، فَهَا هِيَ ذي الإِشَاعَةُ تَنْتَشِرُ في أَنَّ عُثْمانَ قَدْ قُتِلَ؟!! وَكَيْفَ تَتَصَوَّرُونَ مَوْقِفَها عِنْدَ ذَلك أَمامَ خَبَرٍ مُزْعِجٍ، وَنَبَأٍ قَاسٍ؟ لا بُدَّ أَنَّكُم تُقَدِّرُونَ كُلَّ ما كَانَتْ سَتَتَصَرَّفُ بِهِ الزَّوْجَةُ الوفيَّةُ.

أَمَّا نَحْنُ فَلاَ نَغْدِرُ

لَقَدِ اسْتَعَادَتْ ذكرياتِها مِنْ جديدٍ، وَتَمَنَّتْ لَوْ كَانَتْ مَكَانَهُ، وَكَادَتْ أَنْ تَمُوتَ جزَعاً، لِتُشَارِكَهُ المصيبةَ الآنَ، وَقَدْ فاتها أَنْ تَمُوتَ قَبْلَهُ كما كَانَتْ تَحْسِبُ الحِسَابَ عِنْدَ دخولها البَيْتَ وتفكيرِها في الموقف والحظِّ المُشْتَرَكِ مَعَ رقيَّةَ رَحِمَها اللهُ. إنَّها لَتَرَى الآنَ أَبَاها يَسْتَعِدُّ غَاضِباً للثَّأْرِ

لعُثْمانَ.. وإِنَّها لَتُشاهِدُ بعَيْنِها كُلَّ أصْحابِهِ الذينَ خرجُوا مَعَهُ يَمدُّون أَيْدِيَهُمْ مُبايِعين رَسُولَهُمْ أَرْوَعَ بَيْعَةٍ عرفَها التَّاريخُ، ورَضِيَ عَنْها اللهُ ورَسُولُهُ، وسُمِّيَتْ (بَيْعَةَ الرِّضْوانِ). وإِنَّها لتَسْمَعُ صَوْتَ أَبيها بَعْدَ أَنْ مَدَّ يَدَيْهِ يضْرِبُ بِشِمالِهِ على يَمينِهِ مبايعاً نَفْسَهُ عَنْ زَوْجِها عُثْمانَ وَهُوَ يَقُولُ: (إنَّهُ ذَهَبَ فِي حَاجَةِ اللهِ وحَاجَةِ رَسُولِهِ). ما أَصْعَبَ المَوْقِفَ!! وَما أَشَدَّ غَضَبَ رَسُولِ اللهِ والمسلمين!!

القَلْبُ تَزْدادُ دَقَّاتُهُ، ويَخْفِقُ ويَشْتَدُّ خفقَانُهُ، وإِنَّها لَتُحِسُّ بالشَّفَقَةِ علىٰ أَبيها وَصَحابَتِهِ خَوْفاً مِنْ غَدْرِ الغادرين بزَوْجِها عُثْمانَ.

الحمدُ للهِ دوْماً

وَمعَ هذا كُلِّهِ، فما أَحلىٰ البُشْرىٰ بَعْدَ شِدَّةِ الضِّيقِ!!

هـا هُـوَ ذا عُثْمانُ قَــدْ قطعَ الحُزْنَ، والغَضبَ، وَهـوَّنَ الأَمْرَ ..

لَقَـدْ عَـادَ سَالِماً وللهِ الحمْـدُ ، وإنَّـهُ ليَركَبُ راحِلتَـهُ، مُتَّجهـاً نَحْوَ المؤمنين، وَسَرىٰ في بَـدَنِ الزَّوْجَـةِ فَيْضٌ مِنَ القُــوَّةِ وَالعَــافِيَــةِ والأَمَلِ، فَعُثْمَانُ لَمْ يصِبْـهُ أَيُّ أَذىٰ، والإِشَاعَةُ كَاذِبةٌ، وَالخَبرُ غَيْرُ صحيحٍ.

يَبْتَسِمُ رسـولُ اللهِ، وَصَحـابَتُهُ إِلى عُثْمانَ بهيِّ الطَّلْعَـةِ، مُتهلِّلَ الأَسَـارِير ، وَتَنْهَضُ إِليْـهِ زَوْجَتُـهُ بِوَجْـهٍ مُشْرِقٍ، وَابْتِسامَةٍ حُلْوَةٍ.

وَتَمَّت الفَرْحَةُ عنْدَما رَضِي الصَّحابَةُ وفيهمْ زَوْجُها علىٰ شُرُوطِ صُلْحِ الحُدَيْبِيةِ التي كانَتْ قَـاسِيَةً أَوَّلَ الأَمْرِ علىٰ نُفُوسِ أَتْباعِ الرَّسُولِ ﷺ..

الحمدُ للهِ، الذي رَدَّ عُثْمانَ إلى زَوْجَتِهِ، وَكَأَنَّ ما قالَتْهُ أُمُّ كُلْثُومٍ في نَفْسِهَا عِنْدَمـا دَخلَتْ بَيْتَ زَوْجِها مِنْ قَبْلُ هُوَ الَّذي سَيَتَحَقَّقُ.

إتمامُ التَّشَابُهِ

وَلَعَلَّ أَجْمَلَ اسْتِبْشَارٍ صادَفَتْهُ أُمُّ كُلْثُوم كَانَ أَيَّامَ الفَتْحِ العظيمِ والنَّصْرِ الأَكْبَرِ، فَهَا هِيَ ذي مكَّـةُ تَفْتَحُ صَدْرَهَا طَائِعَةً لرسُولِ اللهِ بَعْدَ عَامَيْنِ مِنْ صُلْحِ الحديْبِيَة، وَتَقِفُ زَوْجَةُ عُثْمَانَ مَعَ أُخْتِهـا فاطمةَ فَرِحَتَيْنِ، وَقَـدْ رَقَّ قَلْبَاهُمَا فِي رُؤْيَـةِ مكَّـةَ، وفي ذكريـاتٍ تمرُّ الآن علىٰ البـالِ: (قَبْرُ خديجة .. مراتعُ الصِّبَا .. رقيَّةُ وَزَيْنَبُ الفقيدتان ...).

وَيَعُودُ الجميعُ مِنْ مَكَّةَ فرحينَ مَسْرُورينَ .. لكنَّ عَوْدَةَ أُمِّ كلثومٍ تَخْتَلِفُ عَنْ عَوْدَةِ الآخرينَ، فهي قَدْ عادَتْ إلىٰ المدينـة لتَضعَ حَـدّاً لحيـاتِها، ولتَتَحَقَّقَ أَقْـوالُها مِنْ قَبْلُ، وَتَمُوت في بَيْتِ عُثْمانَ في شَهرِ شَعْبانَ سَنَـة تسعٍ للهجْرَةِ

دُونَ أَنْ يَـرْزُقَهَـا اللهُ وَلَـداً وَلا ذُرِّيَّـةً.. وَيَبْكِي عُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ، يَبْكِي نُـورَهُ الثَّانِي الذي فَقَدَهُ بَعْـدَ أَنْ فَقَدَ نُورَهُ الأَوَّلَ مِنْ قَبْلُ، وَيَبْكِي رَسُولُ اللهِ بِنْتَهُ الثَّالِثَةَ التي فَقَدَها بَعْدَ فَقْـدِ رقيَّةَ وَزَيْنَبَ، ويتـذكَّرُ كَيْفَ مَـاتَتْ أُمُّهُنَّ مِنْ قَبْلُ بَعْدَ جهادٍ طويلٍ مُتْعِـبٍ، وَقَاسٍ، وتبكي فاطمَةُ .. وهي تنْظُرُ إلى الأَبِ الكريم الذي لَمْ يَبْقَ لَهَا سِواهُ ...

سَوْفَ نَبْكِيها أَيْضاً

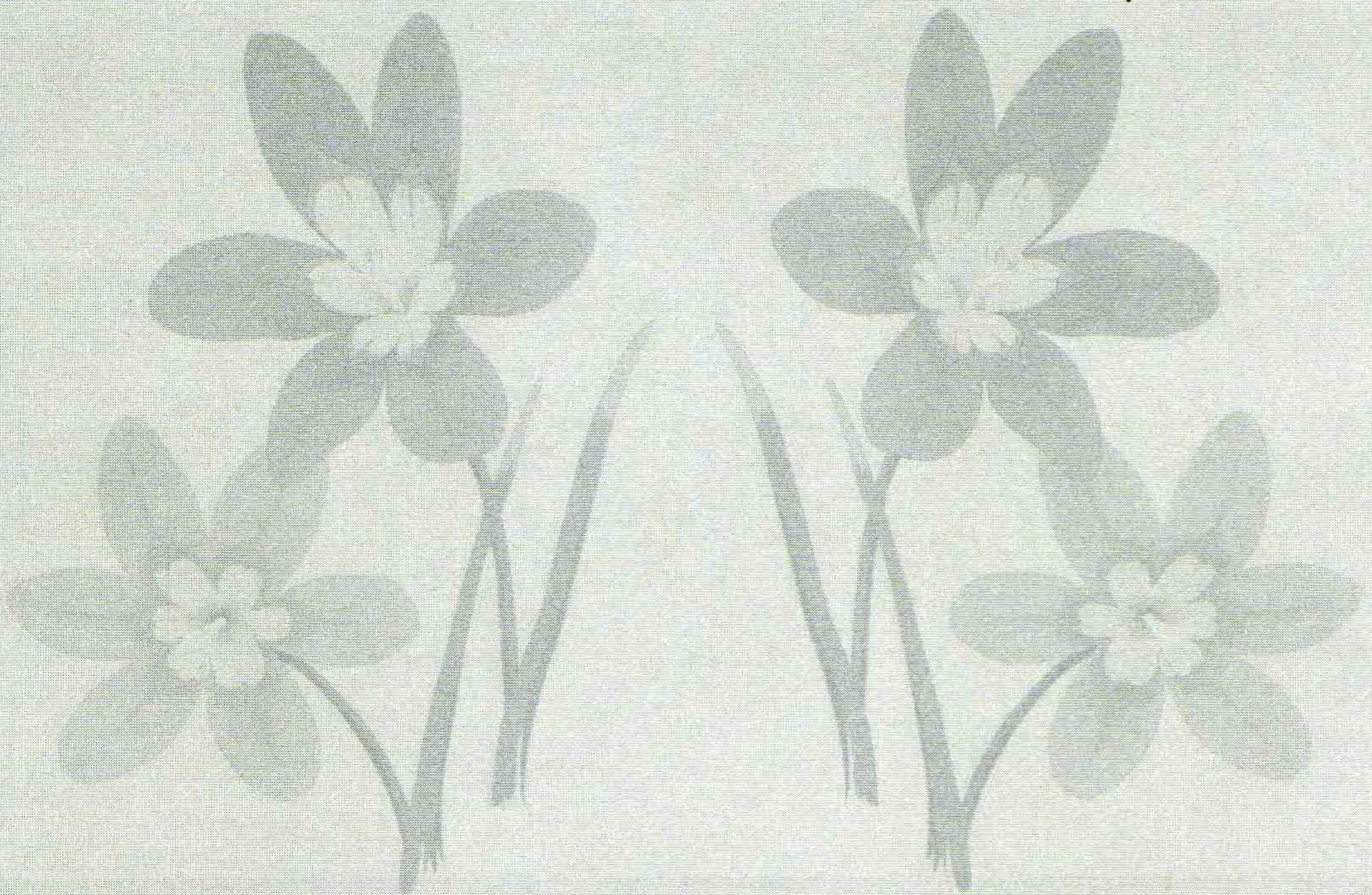
وَيَرىٰ الصَّحَـابَةُ فَاطمَةَ وهي تَبكي أُخْتَهـا أُمَّ كلثومٍ، وتبكي فيهـا أُخْتَيْهَا رقيَّـةَ وَزَينَبَ وأُمَّها خـديجَةَ، ولوْعَـةَ صِهرِهـا عثمانَ وأبيها الحزينِ.. وتُتـابعُ المُشَيِّعين بعيُونِها ونظراتِها ودموعِها..

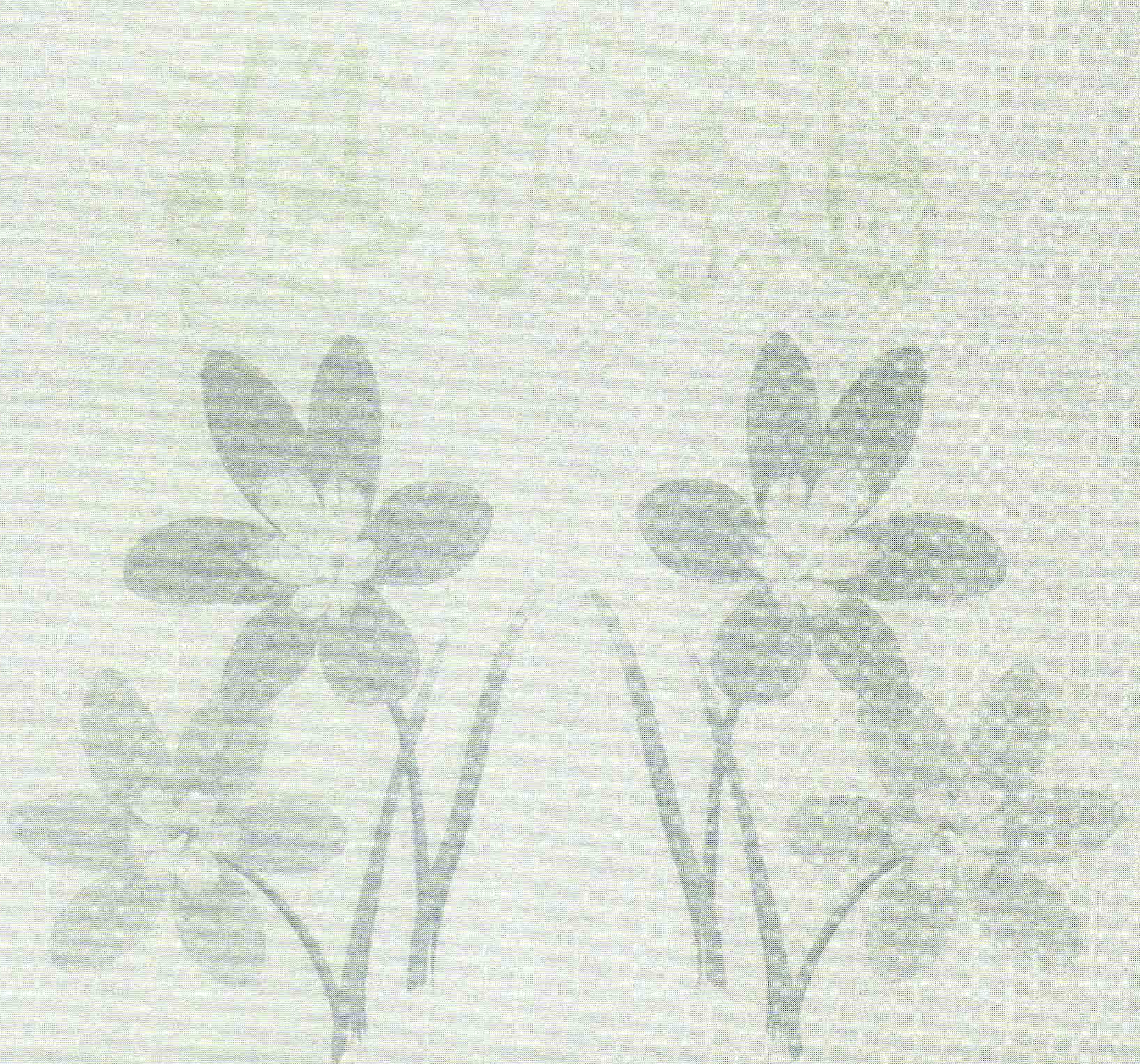
وَهُنَاكَ في البقيعِ، وَقَفَ الصَّحَابَـةُ مَعَ الرَّسُولِ وَعُثْمَانَ ليَـدْفُنُوا الجَسَـدَ الطَّـاهِرِ بَعْـدَ أَنْ صَلُّـوا علىٰ صَاحِبَتِـهِ، وَسَتَقُـولُونَ لي يـا أَحِبَّتي: إنَّهُمْ دَفَنُوهَـا أَمَامَ مَـا بَقِيَ مِنْ

رُفَاتِ رقيَّةَ صاحبتها في الحظِّ المُشْتَرَكِ.. وأُجِيبكُمْ مُوافِقاً: نعَمْ .. كَانَ ذَلكَ. لَقَدْ شَارَكَتْهَا حيَاتَها، وَخُطْبَتَها، وَطَلاَقَها مِنْ بيت أُمِّ جميلٍ، وَعَاشَتْ في بيْتِها، وَمَاتَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ أيضاً، أَفَلا يَكُونُ من الأَوْلىٰ أَنْ تُشاركَها الدَّفْنَ والمثوىٰ الأخيرَ وَغَداً ستكون الأُخْتَان معاً إنْ شَاءَ اللهُ في جنَّةِ الرِّضْوانِ ..

وانْهَمَرَتْ دمْعَتَانِ مِنْ عَيْني النبيِّ الكريم علىٰ قَبْرِ ابْنَتيْهِ، وَوَقَفَ إلىٰ جَانِبِ صِهْرِهِ عُثْمَانَ مُثْقَلَ القَلْبِ، يُؤْلِمه ما يُؤْلِمُهُ مِنْ ثكلِ الأَحِبَّةِ، رحمَكِ اللهُ يا أُمَّ كلثوم.. لَقَدْ رَحلَتْ عن الدُّنيا قبْلَ أَنْ ترىٰ وَفَاةَ أَبيها الذي لحقَها بَعْدَ مَوْتِها بقليل، وَمَصْرَعَ زَوْجِها عُثْمَانَ الذي فَارقَ الحياة بَعدَ رُبعِ قَرْنٍ مِنْ وَداعِ الحبيبةِ أُمِّ كلثومٍ.

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ





العُنْوَانُ قَدْ يُغْنِي

فـاطمةُ هيَ رابــعُ البَناتِ وآخــرُهُنَّ في بيْتِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ.

وَمَنْ يَعْلَمْ أَنَّها جَاءَتْ إلىٰ الدُّنيا بَعْدَ ثَلاثِ أَخواتٍ يُدْرِكْ مَا قَدْ تُلاَقِيهِ بِنْتٌ رابعةٌ في بيئةٍ تكْرَهُ البناتِ، لكنَّ الـذي حَدَثَ رَدَّ تَصَوُّرَاتِ المجتمعِ، فَلَقَدْ أَحَبَّ محمّدٌ وَزَوْجَتُهُ هَـذِهِ البنْتَ حُبّاً لاَ يُوصَفُ، وَرَأَيَا فيها بنْتاً تَسْتَحِقُّ الدَّلاَلَ كُلَّهُ، والمحبَّةَ كُلَّهَا، وقَدْ لاقَتْ مِنْ عنَايَةِ أَبَوَيْهَا وَأَخَوَاتِها الثَّلاثِ مَا لاَ تُلاَقِيهِ بنْتٌ في مِثْلِ حَالِها، وَعَرَفَ لها التَّاريخُ قَدْرَهَا مَوْفُوراً كَامِلاً لا نَقْصَ فيه. وَلَمَعَ اسمُها في سَمَاءِ الـدَّعوةِ الإسلاميَّةِ أَكْثَرَ مما لمعَتْ أَسْمَاءُ أَخَواتِها الثَّلاثِ ، وَلَقَـدْ صَادَفَ مَوْلِدَهـا حادثُ تحكيمِ رسولِ اللهِ في وَضْعِ الحجَرِ الأَسْوَدِ الـذي اخْتَلَفَتْ عليهِ القبائلُ في مكَّـةَ أَثْنَاءَ إعـادةِ بناءِ الكَعْبَـةِ، وَلَعَلَّ في هَذِهِ

المُصَادَفَةِ الطَّيِّبَةِ حُسْنَ اسْتِبْشَارٍ، وفاتحةَ خَيْرٍ عظيم، فالحادِثَةُ أَهَّلَتْ أباها لأنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَنْتَظِرَ غداً مُشْرِقاً يَطْلُبُ مِنْهُ الحُكمَ في مجتمعٍ أعَزّ وأَجَل عِنْدَ الله.

الزَّواجُ سُنَّةُ الكَوْنِ

ومِنْ جَميلِ الأَمْرِ أَنَّ نَشْأَةَ فاطمةَ الصُّغْرىٰ قَدْ صَاحَبَتْ تربيةَ طِفْلٍ صغيرٍ في بَيْتِ أَبَوَيْهَا، فَلَقَدْ جَاءَ عَلِيٌّ ابْنُ عمِّها زائراً دائماً يُخَفِّفُ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ عَمِّهِ مَصَاعِبَ الحياةِ، وكَثْرَةَ العِيالِ، وَرَأَتْ فيه فَاطِمَةُ نِعْمَ الأنيس للطُّفُولَةِ المبكِّرَةِ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَهَا أُخْتٌ وَاحدةٌ، فَزَيْنَبُ قَدْ تَزَوَّجَتْ مِنِ ابْنِ الخالَةِ أَبي العَاصِ بن الربيع، وَرقيَّةُ وأُمُّ كلثُومٍ قَدِ انْتَقَلَتا عَرُوسَيْنِ إلى بَيْتِ العَمِّ أبي لَهَبٍ.. وَلَعَلَّ مَا حَدَثَ لأخواتِها الثَّلاثِ بَعْدَ ظُهُورِ دَعْوَةِ أبيها مِنْ صُعُوبَةِ بَقَاءِ أزْوَاجِهِنَّ عَلىٰ دِينِ الكُفْرِ، كَانَ لَهُ أَكْبَرُ الأَثَرِ في نَظْرَةِ فاطمةَ إلى الزَّوَاجِ والحِكْمَةِ

منْهُ، ولَعَلَّهَا كثيراً ما قَالَتْ في نَفْسِهَا: (أَمَّا أَنا فلا أُريدُ الـزَّوَاجَ، وسَأَبْقىٰ مَعَ أُمِّي وأبي، حتَّى لا أُقَاسِي مَرارَةَ الفِراقِ إذا ما تَزَوَّجَنِي شابٌّ كَافِرٌ بِاللهِ). إنَّها الآن تَنْعَمُ بمرحِ الصِّبا، ولَهْوِ الطُّفُولَةِ، وما عَلَيْها إلاَّ أَنْ تُعِدَّ نَفْسَها لكَيْ تُشَارِكَ أَبَاهَا رغم صِغَرِها في جِهَادِهِ ودَعْوَتِهِ ونَشْرِ رِسَالَتِهِ.

مَعْرِفَةُ التَّاريخِ مَكْرُمَةٌ

وَلَقَدْ سَرَّهَا أَنَّ أُمَّها وَأَخَواتِها قَدْ آمَنَّ مَعَها، وَأَفْرَحَها أَنَّ عَلِيّاً ابْنَ عَمِّها قَدْ وَافَقَ علىٰ الإيمانِ بأبيها، وكثيراً ما كَانَتْ تُنَاجِي نَفْسَها، وَتَسْأَلُ رَبَّها أَنْ يُلْهِمَ آلَ هَاشِمٍ كُلَّهُمْ إيماناً خَالِصاً وَاقْتناعاً كافياً يَدْفَعُهُمْ إلىٰ العَمَلِ مَعَ وَالِدِها وَأُسْرَتِها.

وَقِصَّةُ فاطِمَةَ يا أَحِبَّتي مليئَةٌ بكُلِّ مَا هُوَ جَديرٌ بالمعْرِفَةِ. فهي قَدْ عَاشَتْ طويلاً وَرَأَتْ مَوْتَ أُمِّها

وَأَخواتِها الثَّلاثِ، ثُمَّ شَهِدَتْ مَوْتَ أبيها عَلَيْـهِ الصَّلاةُ والسَّـلامُ، وفي هَـذا مـا جَعَلَهـا تَنـالُ الحَظَّ الأوْفى مِنَ الشُّعُـورِ بالألَمِ، زِيَـادَةً على مـا شَهِدَتْـهُ مِنَ الصِّراعِ بَيْنَ أبيها وَأَعْدائِهِ طيلَةَ دَعْوَتِهِ. وَقَدْ كَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلاً، وَلِهَذا يـا إِخْوَتي لَنْ نَـدَّخِرَ جُهْـداً في مَعْرِفَـةِ حَيَاتِها وَقِصَّتِهـا الجميلةِ..

أهْلاً بِكِ يا فَاطِمَةُ في قِصَّتِكِ، وَهَنيئاً لَكِ هَذا السِّجِلَّ الوافِرَ الكبيرَ على صَفحَاتِ التَّارِيخِ المجيدَةِ، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنـا مَعَكِ يَوْمَ القِيَـامَةِ في قـائمةِ المؤمنينَ الـذين نشؤوا مِثْلَكِ على طَاعَةِ اللهِ تعالىٰ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

نِيَّةُ القَذارَةِ كافرةٌ

هاهيَ ذي فاطمةُ تَبْدَأُ مَعَنا الحِكايَةَ.. إنَّها تَرْقُبُ أَبَاها يَخْرُجُ نَحْـوَ الكَعْبَةِ، فَتَتْبَعُـهُ دُونَ أَنْ يَعلَم ذَلِكَ، وَتَلْمَحُ المشركينَ يُسرعون نحوه ، وَيُحيطونَ بِهِ يَسُبُّونَهُ وَيَشْتُمُونَهُ،

وَتَرىٰ وَاحداً مِنْهُمْ يَأْخُذُ بمجمَعِ رِدَاءِ أبيها، فَيشُلُّ الذُّعْرُ حَرَكَتَها، وَتَقِفُ حَيْثُ هي. وَتَتْبَعُهُ مَرَّةً أُخْرىٰ لِتُشَاهِدَ مصيبةً أَشَدَّ هَوْلاً، فَعُقْبَةُ بْنُ أبي معيطٍ ذلك الكافرُ القَذِرُ، يحمل بيدِهِ القَذِرَةِ أَحْشَاءَ جَزُورٍ وَيَقْذِفُ بها علىٰ رَأْسِ وَظَهْرِ الرَّسُولِ وَهُوَ سَاجِدٌ أَمَامَ الكَعْبَةِ، فَلَمْ يَرْفَعْ ﷺ رَأْسَهُ حَتَّى تَقَدَّمَتْ ابْنَتُهُ فَاطمَةُ فَأَزاحَتِ القَذَرَ عَنْ رَأْسِ أبيها الشَّريفِ، وَدَعَتْ بأَعْلىٰ صَوْتِها علىٰ مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَشَارَكَها النبيُّ دُعَاءَها وَقَالَ: (اللهمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلٍ بْن هِشَامٍ وعُتبَةَ بنَ ربيعةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ ربيعةَ، وَعُقْبَةَبْنَ أَبي معيطٍ، وَأُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ)، وَأَحَسَّ زُعَماءُ الكُفْرِ بالرُّعْبِ يَمْلأُ صَدُورَهُمْ فانْصَرَفُوا خَائِفِينَ مِنْ دُعَاءِ رَسولِ الله، وَيُدْرِكُونَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ وَاقِعٌ مَا يَكْرَهُونَهُ، وَحقّاً لَقَدْ كَانُوا بأَسْمائِهِمْ وَأَجْسادِهِم صَرْعىٰ مُجَنْدَلِين في غَزْوَةِ بَدْرٍ التي حَدَثَتْ بَعْدَ سَنَواتٍ.

المؤمنُ الصَّغيرُ محبوبٌ

وَكَأَنَّ اللهَ اسْتَجَابَ دُعَاءَ الصَّغِيرَةِ المدلَّلَةِ التي دَافَعَتْ عَنْ أبيها، وَكَأَنَّ مُشارَكَتَهُ ﷺ مَعَها دَليلٌ علىٰ أَنَّها تَبْني مَكَانَتَها بيدِها، وَتُسَجِّلُ أَبْرَزَ صَفَحَاتِ تاريخِها المجيدِ.

وَلَعَلَّ الرَّسُولَ قَدْ بَيَّنَ لَنَا احْترامَهُ لهذِهِ البنْتِ الصَّغيرةِ عنْدَما ناداها ذَاتَ يومٍ دونَ أَخَواتِها وَهُوَ يَدْعُو آلَ هَاشِمٍ فَقَالَ: (وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ محمَّدٍ، سَليني ما شِئْتِ مِنْ مَالي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً). وَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ليدُلُّنا عَلى شَيْءٍ مِنْ حُبِّهِ لفَاطِمَةَ، إِذْ أَنَّهُ اخْتَارَ اسْمَها، ورغم هَذا الحبِّ الشَّديدِ فإِنَّ حُبَّ الرَّسُولِ للعقيدةِ أَغْلَى مِنْ حُبِّ البنينَ والبناتِ، وَلَقَدْ كَرَّرَ النَّبيُّ الكريمُ هَذا المَعْنَى في حديثٍ آخرَ عِنْدَمَا جَاءَهُ صَحَابَتُهُ يَسْتَرْحِمُونَهُ في سَارِقَةٍ وَجَبَ قَطْعُ يَدِها فَقَالَ لَهُمْ: (لَوْ أَنَّ فَاطمَةَ بنْتَ محمّدٍ سَرقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَها). وَأَدْرَكَ الصَّحَابَةُ في الحادثَتَيْنِ مَكَانَةَ فاطِمَةَ

وَحُبَّ أبيهـا لها، وكثيراً ما قالَ رَاوِيهِمْ: (كَـانَتْ فَـاطِمَةُ أَصْغَـرَ بنـاتِ النَّبِيِّ وَأَحَبَّهنَّ إليْـهِ)، اللهمَّ اجْعَلْنا من المحبُوبين بَيْنَ النَّـاس ياربَّ العالمين، واكْتُبْنَـا مع الذين أَحْبَبْتَهُمْ وَأَحَبَّهُمْ رَسُولُكَ الكريمُ ﷺ.

بُشْراكِ يازَهْراءُ

وَإِذا ما كَنَّىٰ بعضهم رَسُولَ اللهِ بأبي الزَّهْراءِ فَلا غَرابَةَ، فَهُوَ يحبُّ ابْنَتَهُ الزَّهْـراءَ التي سُمِّيَتْ بذلك لِبيَاضِ لَوْنِها وَإِشْرَاقَـةِ وَجْهِهـا، وَللرَّسُـولِ الحقُّ في أَنْ يحبَّ فـاطمـةَ الـزَّهْـرَاءَ مع أَنَّ حُبَّهُ لَهَا لَمْ يُنْقِصْ حُبَّـهُ لأَخَـواتِها، وَلِمَ لا يُحِبُّها وَقَدْ نَشَأَتْ تَراهُ يُجاهِدُ فَتُجَاهِدُ مَعَهُ، وَيَدْعُو فَتَسيرُ وَرَاءَهُ، وَيُؤذيه الكفّارُ فَتَدْفَعُ عَنْهُ الأَذىٰ. وَلَقَدِ امْتَحَنَ اللهُ إيمانَها بأَقْسىٰ مـا تُمْتَحَـنُ بِـهِ الصَّغيراتُ في مِثْلِ سِنِّهـا، وَإِنَّ تَعَلُّقَها بـأبيها يجْعَلُها تَتَعَـذَّبُ وَتَتَأَلَّمُ لما يَلْقَى أَبُـوها مِنْ فادِحِ الأذىٰ. وَإِنَّنا لَمْ نَنْسَ فَاطِمَـةَ عِنْدَمَا دَخَلَتْ مَعَ

أبيها وأُمِّها وأختيها شِعْبَ أبي طـالبٍ في مكَّةَ، وَخَرَجَتْ وإيَّاهُما بَعْدَ فَكِّ الحصار ، لِتَشْهَـدَ بِعَيْنِهَا بُكَاءَ أبيها على فَقْدِ زَوْجَتِهِ خديجةَ ، ولتشاهـدهُ يستعِدُّ لهجرةٍ طويلةٍ إلىٰ المدينةِ ، ورأتْ آنـذاكَ ابْن عمِّها بطَـلاً شُجاعـاً يَنامُ في فِـرَاشِ والِدِهَـا، لايَخَافُ سُيُوفـاً تَنْتَظِرُ مَنْ سَيَخْـرُجُ مِنْ بَيْتِ محمَّدٍ.. ثُمَّ هَـاجَرَتْ مع أُخْتِهـا أُمِّ كلثومٍ يَصْحَبُهُما أَحَدُ صَحَـابَةِ والِـدِها. وَلَقَدْ قَـاسَتِ الزَّهْـرَاءُ وَأُخْتُها في هجـرتِهما كثيراً مِنَ الكَافِـرِ (الحُويْـرِثِ القُرَشِيِّ). الـذي قُتِلَ على يَدِ ابْنِ العـمِّ (عليٍّ) عِنْدَما أَمَـرَ الرَّسُـولُ بذلك بَعْدَ عِدَّةِ سنواتٍ.

نعْمَ الزوْجُ عليٌّ

وَوَصلَتْ فاطمةُ إلىٰ المدينـة، لِتَسْكُنَ مَعَ أبيها وَأُخْتِها في بَيْتٍ تمَيِّزُهُ البَسَـاطَةُ والخُشُونَةُ والتَّـوَاضُعُ، ولترىٰ أَمَلاً جميلاً يُحيطُ بأبيها ؛حَيْثُ العزَّةُ والمنعَةُ ، يُحِيطُ بِهِ الأَنْصَارُ

والمهاجرون في جوٍّ مِنَ التـآخي الذي لا مثيلَ لَهُ - ولَعَلَّ قَلْبَهـا قَـدْ خفق عِنْـدَمَـا كـانَ عَليٌّ نصيبَ والِـدِهـا في مُـؤَاخاتِـهِ لَهُ. وكَأَنَّـهُ يُعِدُّهُ إلىٰ غَـدٍ قريبٍ. فهـا هي ذي فاطمةُ قَـدْ قارَبَتْ إذْ ذاكَ عامَها الثَّـامِنَ عشَرَ، وَلَقَدْ آنَ لَهَا أَنْ تَطْرُدَ عُقْدَتَها مِنَ الزَّوَاجِ التي كَوَّنَتْهَا حينما رَأَتْ ما حَـدَثَ لأخَـواتِها مِنْ إصْرَار زَوْجِ زَيْنَبَ علىٰ الكفـرِ آنذاك، وَطلاقِ رقيَّـةَ وأُمِّ كلثوم مِنِ ابْنَي عَمِّها أبي لهب. وإنَّها اليَـوْمَ لأقْرَبُ إلى فَهْمِ حِكْمَـةِ الزَّوَاجِ، وَلأَنْ تكُـونَ مِثَالاً للـزَّوْجَةِ التي لَنْ تُطَلَّـقَ إنْ شَاءَ اللهُ، وَلَنْ ينَـالها ما نَالَ أَخَواتِها الثَّلاثِ مِنْ قَبْلُ.

وإنَّ فَـاطِمَةَ اليَـوْمَ لَتَشْعُـرُ بما يحسُّهُ ابْنُ عمِّهـا البَطَلُ نَحْـوَهـا، وَمَـا يُخَبِّـئُهُ رَسُـولُ الله لابْنِ العمِّ (عليٍّ) مِنْ عَرُوسٍ بَيْضَاءَ جميلةٍ هي آخِرُ بَنَاتِهِ وَأَحَبُّ بناتِهِ إليْهِ.. إنَّ علياً لَنِعْمَ الخاطِبُ.. وما أَكْرَمَهُ صِهراً كريماً للرَّسولِ ﷺ، وَزَوْجاً مناسِباً للزَّهْراءِ.

هَكَذا فَلْيَكُنِ الزَّواجُ

ويا لَيتَ أُمَّها علىٰ قَيْدِ الحياةِ. تَشْهَدُ حَفْلَةَ زَفافِها، فها هي ذي تُزَفُّ إلىٰ شَابٍّ لَيْسَ بَيْنَ فتيةِ قُرَيْشٍ مَنْ يَفُوقُهُ نَسَباً وَقَرابَةً وَشَجاعَةً وَذَكاءً وَعَزِيمَةً وَسَبْقاً إلىٰ الإسلامِ وَقُرْباً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَكأن هَاتِفاً مِنْ قَبْرِ أُمِّها يَهْمِسُ في قَلْبِها: (زَهْرتي الجميلةَ، هَنيئاً لَكِ يا حُلْوَتي، وإني لأَعْرِفُ مَنْ هُوَ عَرُوسُكِ الشَّابُّ، وَقَدْ رَبَّيْتُهُ بيديَّ وَهُوَ صَغيرٌ في مكَّةَ. وَأَرىٰ فيهِ خَيْرَ كُفْءٍ لَكِ رغم نُفُورِكِ مِنَ الزَّوَاجِ نَظَراً لما شَاهَدْتِهِ مِنْ زَواجِ أَخَواتِكِ الثَّلاثِ وَأَنْتِ صغيرةٌ.

إني يا بُنَيَّتي قَدْ عَهِدْتُ فيكِ بنْتاً خَلفَتْني في بَيْتِ أُمِّها وأبيها، لترىٰ حَقَّ وَالِدِها، ولِتَبقىٰ سَيِّدَةَ البَيْتِ، وَإِنَّكِ لأَهْلٌ لذلكَ المَوْضِعِ العزيز .. ولكنْ عَلَيْكِ أَنْ تتركيهِ الآنَ وَحَسَناً فعلْتِ، فَقَدْ جاءَت عَائِشَةُ لتعفيك مِنْ هَذا

المنْصِبِ، فَـلا تَخَافي عَلىٰ وَالِدِكِ فَإنَّ مَعَـهُ ابْنَةَ أَبِي بكـرٍ، وأَتَمنىَّ لَكِ يَا زَهْـرَاءُ حَيَاةً سَعيـدةً، وذريَّةً طيّبةً كـريمةً، تُخَلِّديـنَ فيها ذِكْرَ البَيْـتِ المحمَّدِيِّ، تَرْسُمِينَ لَهَا طـريق الجَدِّ والجَدَّةِ والخالاتِ والأَبوَيْنِ).

الفَقْرُ لا يعيبُ الإنْسَانَ

وانْتَقَلَتْ فَاطمَةُ إلى بَيْتِ عليٍّ بَطَلِ بَـدْرٍ الذي مَا يَزَالُ ذِكْرُ بُطُـولَتِهِ علىٰ الألسنِ نَـدياً رَطْباً، وَمَـا أَحْلَى الصَّدَاقَ والمَهْرَ دِرْعاً غَنِمَها البطلُ الفتىٰ ثُمَّ بَـاعَها ليجَهِّزَ عَرُوسَهُ بِثَمَنِها، وَفَـرِحَ الصَّحَابَةُ للعروسَيْنِ الهاشميَّيْن، وَبَـارَكُوا لهما زَفَافَهُما، وَلَعَلَّ فَـاطِمَةَ قَدْ ذَرَفَتِ الدَّمْعَ لفـراقِ أبيها، فَحَنا عليها الأَبُ مُهوِّناً وَمُودِّعاً، فَلَقَدْ أَوْدَعَهَا عِنْدَ أَقْوىٰ النَّاسِ إيماناً وأَكْثَرِهِم عِلْماً، وَأَفْضَلِهِمْ أَخْلاقاً، وَأَعْلاهُم نَفْساً.

وَكَانَ زَوَاجاً مَيْمُـوناً مُباركاً، وَطَافَ بـالعروسَيْنِ خيالُ

الذرِّيَّة الصَّالِحَةِ يفْرَحَانِ بها، وَيُدْخِلان السُّرورَ إلىٰ قَلْبِ الرَّسُولِ الذي حُرِمَ مِنْ ذرّيّة رقيَّة وَأُمِّ كُلْثُومٍ.

وَإِنَّـهُ لَمِمَّا يجِبُ ذكرُهُ في زَوَاجِ فَـاطِمَةَ، أَنَّها قَـدْ دَخَلَتْ بَيْتـاً فقيراً، وَعَاشَتْ حَيَـاةً أَقْـرَبَ إلى الخُشُونَـةِ، وهي في ذَلِكَ تَخْتَلِف عَنْ أَخَواتِها زَيْنَبَ وَرُقَيَّـةَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ اللَّوَاتي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِنَّ بأَزْوَاجٍ مِنْ أَثْـرِيَاءِ مَكَّـةَ. لكنَّ عَلِيّاً قَـدْ عَوَّضَ عَنْ نَشْأَتِهِ الفقيرَةِ وَقِلَّةِ ذَاتِ يَـدِهِ بِذَكائِهِ وَعِلْمِهِ وَسَبْقِهِ إلىٰ الإِسْلامِ وجِهَادِهِ الرَّائِعِ في سَبِيلِهِ.

الابتسامَةُ تُنْسِي المتاعِبَ

ولم تعبْ فاطِمَةُ علىٰ زَوْجِها فقْـرَهُ، فَأَبُوها قَدْ نَشَأَ يَتِيماً فقيراً، وَلَيْسَ من المنـاسِبِ أَنْ تذكُـرَهُ فاطمـةُ بما تلاقيـهِ وتَشْعُـرُ بِـهِ وَيُـؤَثِّرُ علىٰ صِحَّتِهـا، بَلْ مِن الأَفْضَلِ أَنْ تَصْمُتَ وَتُشَـارِكَـهُ جِهادَهُ، وَيـا لَلْبِنتِ الكـريمـةِ بِنْتِ الكريمِ، يا لَهَا مِنْ بَطَلَـةٍ تَخْرُجُ بَعْدَ شُهُورٍ مِنْ زَواجِهَا إلىٰ

غَزْوَةِ أُحُـدٍ، وَرآها الأبطالُ هُنَـاكَ تُضَمِّدُ الجِرَاحَ وَتَسْقِي الجَرْحىٰ والمحتضَرِينَ مِنَ الشُّهَـدَاءِ، وَتَصْمُـدَ في جُـرْأَةٍ وَشَجَاعَةٍ حينَ فَرَّ الكثيرون مِنَ الـرِّجَالِ، و إذا ما انْتَهَتِ المعركَـةُ، وعَادَ زَوْجُهـا إلى بَيْتِهِ تَلْقَاهُ بـابْتِسَامَـةٍ وَضَّاءَةٍ، وَدُعَابَةٍ لطيفةٍ، وَقَدْ تعلَّمَتْ ذلكَ مِنْ عَائِشَةَ التي كانَتْ تَسْتَقْبِلُ القـائِدَ بمثْلِ ذَلِكَ، وَلَعَـلَّ زَوْجَهـا عليـاً لا يقلُّ حَاجَـةً عَنْ أبيهـا في يَدٍ لطيفةٍ رحيمـةٍ تَنْفُضُ عَنْـهُ غُبَارَ المعارِكِ التي يَخُوضُهـا مُنْذُ كَـانَ صَبياً يَافِعـاً، وَكَانَ عليٌّ مقـابِلَ ذَلكَ لا يَنْسَىٰ أَنْ يمُدَّ لَها يَـدَ الحَدْبِ والـرِّعَايَـةِ يُعينهـا على مَشَقَّـةِ العَمَلِ في البَيْـتِ وَسَطَ جَـوٍّ المدينـةِ الجديـدِ، ويحاولُ بـذلِكَ أَنْ يَتَرَفَّقَ بِجِسْمِهـا الغَضِّ، وَيُـرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلىٰ التَّخْفيفِ مِنْ شِـدَّتِـهِ وَصَرَامَتِهِ وَلَـوْ قليلاً.

الذُّرِّيَّةُ تقرُّ العَيْنَ

وَيَشاءُ اللهُ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُ الزَّوْجَيْنِ بالذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَما

أَحْلاهُ مِن فـرحٍ بِمَوْلِـدِ أَوَّلِ ثَمرةٍ للزَّوَاجِ المَيْمُـونِ.. إنَّهُ (الحَسَنُ)، جَـاءَ في السَّنَةِ الثـالِثَـةِ للهجْرَةِ، وَخَفَّ إليـهِ الجدُّ مَشُـوقـاً فَـرِحاً، وَحَمَلَـهُ يَشْـدُو الأَذَانَ في مَسْمَعِـهِ، وَيـذكُرُ وَلَـدَيْهِ اللـذَيْنِ اسْتَرَدَّهُما اللهُ صَغيرَيْنِ قَبْلَ سِنِّ الفِطَامِ: (القَاسِمَ وَعَبْدَ اللهِ). وَمَا هُوَ إلاَّ عامٌ آخرُ، حَتَّى ولِدَ لابْنَةِ الرَّسُـولِ صبيٌّ آخرُ هُوَ (الحسين)، وَلاَ تَسْأَلُوا عَنْ فَرْحَةِ الـرَّسُولِ مِنْ جديد، فَقَـدِ اجْتَمَعَ لَهُ حَفِيدَانِ غاليان يَملآنِ حضْنَـهُ إذا ما أَرَادَ مُداعَبَتَهُما، وَإنَّهُما الآن ليجدُ فيهما أُنْساً كبيراً، فَزَوْجَاتُهُ الخَمْسُ اللَّوَاتِي تَزَوَّجَهُنَّ بَعْدَ وَفَاةِ خـديجة وحتّىٰ سَاعَةِ مَوْلِـدِ الحُسَيْنِ قَدْ عَقِمْنَ عَن الوِلادَة، فَلَـمْ يَرْزُقهنَّ اللهُ وَلَداً ولا ذُرِّيَّـةً، وَلا عَجَبَ إنْ فَرِحَ الرَّسُولُ أشَدَّ الفَـرَحِ، وَجَعَلَ لِفَاطِمَةَ حَظّاً وَفيراً مِن المحبَّةِ إذ انْحَصَرَتْ ذُرِّيَّتُهُ في نَسْل هَـذِهِ الزهراء التي فَقَدَ إخْوتَها أَجمعين، وَلَقَدْ تَشَرَّفَ بذلكَ عليٌّ أَنْ جَعَلَ اللهُ لَهُ نَصيباً مِنْ نَسْلِ خَاتمِ الأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ الأَقْرَبُ إلىٰ رَسُولِ

اللهِ صِهراً. وَنَسَبُـهُ الهاشميُّ مَعْرُوفٌ، ومكانتُـهُ غنيَّةٌ عنِ البيانِ.

الأَماناتُ بيدِ اللهِ

وَلَقَدْ أَسْعَـدَ فاطمَةَ أَنْ تكُـونَ أُمّاً لِهذيْنِ الوَلَـدَيْنِ عِنْدَ رسولِ اللهِ، وَمَـا أَحْلاَهَا مِنْ سَعَادَةٍ بَعْـدَ أَنْ ذَاقَتْ مَرارةَ الحُزْنِ وَهي صَغِيرةٌ، وَكَأَنَّ الذُّرِّيَّةَ هـديَّةٌ مِنَ اللهِ وَمُكَافَأَةٌ عَلىٰ حُسْنِ إيمانِها وَنُبْلِ جِهَـادِهـا، وَرَدٌّ جميلٌ لمشاركتِهـا والدَها وَزَوْجَها عِبْءَ الحياةِ والجهادِ.

وَشَكَرَ الزَّوْجانِ رَبَّهُما علىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَزَادَهُمَا اللهُ مِنْ عَطَائِهِ وَفَضْلِـهِ، وَتَتَابَعَ الثَّمـرُ المبارَكُ، فَـوَلَدَتْ فَـاطِمَةُ بِنتَيْنِ صَغيرتَيْنِ في الأَعْـوَامِ التَّـالِيـةِ، سَمَّـتْ إحـداهما (زَيْنَب) تحيَّةً لِذكرىٰ خالتِها الرَّاحِلَةِ، وكَنَّتِ الثَّانية (بأمِّ كلثوم) تحيَّـةً لجهادِ خَالَتِهـا التي دَخَلَتْ بَيْتَ عثمانَ بَعْدَ وَفَاةِ رقيَّةَ، وَكَانَ ذلكَ نُزُولاً عِنْـدَ رَغْبَةِ الرَّسُولِ العظيم،

وَلَقَدْ حَفِظَ اللهُ لنبيِّـهِ حفيديْهِ وحفيدتَيْـهِ، فَلَمْ يُفْجِعْهُ في أُمِّهِمْ ولا بأبيهم ولا بِهِمْ وَهُوَ على قَيْدِ الحَيَاةِ. فَقَـدْ كَفَاهُ مَـا رَأَىٰ مِنْ مَوْتِ خـديجَةَ، وَالقَاسِم وعَبـدِ اللهِ، وَزَيْنَبَ بنْتِ خُزَيْمَةَ أُمِّ المساكين، وَرُقَيَّةَ وَزَيْنَبَ (وأُمِّ كلثومٍ بَعْدَ ذَلِكَ)، وإبراهيمَ الصغير ابْن مـارية، وعَبْـدِ الله حفيده مِنْ رقيَّةَ...

وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ

لَقَدْ ظَلَّ الـرَّسُولُ يَـرىٰ ابنتَهُ فَاطِمَـةَ تَدعـوهُ (يا أَبَتِ) وَأَوْلادُهَـا يُنَـادُونَهُ (يـا جَـدِّي) وَيَمْتَـدُّ الزَّمَنُ بفَـاطِمَـةَ وَأَوْلاَدِهـا يَـرَوْنَ القَـائِدَ الكَـريمَ وَقَـدْ أَسْلَمتِ الجزيـرةُ العـربيَّةُ أَمْـرَها لَـهُ. وَشَهدَتْ أُمُّ الحَسَنَيْنِ مَعَ أبيهـا فَتْحَ مكَّـةَ إلى جَـانِبِ أُخْتِها أُمِّ كُلْثُـوم التي لم يبقَ لها غيرهـا آنذَاكَ، وَرَأَتْ رَحْمَةَ أبيهـا بأَهْلِ مكَّةَ يَقُـول لَهُمْ: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)، وَوَدَّعَتْ مكَّةَ مَعَ المودِّعين راجعةً وَأَبَاها

الذي رَضيَ البقَاءَ عِنْدَ الأنْصارِ، وَرَأَتْ أَهْلَ البَلَدِ الحرامِ يَبْكُونَ لِوَدَاعِ رَسُولِ الله، وَيَسْأَلُونَهُ عَدَمَ مُغادَرَتِهِمْ.

وَيَمُرُّ عامانِ هانئانِ سعيدانِ على المسلمينَ، وَبَيْنَهُمْ فَاطمةُ، لَمْ يُعكِّرْ صَفْوَها سِوى مَوْتِ أُمِّ كُلْثُومٍ أُخْتِها، ثُمَّ تَأْتِي اليَقَظَةُ المروِّعَةُ، فَقَدْ شَكَا أَبُوها مِنْ مَرَضٍ أَلَمَّ بِهِ، وَإنَّهُ لَمرضُ الموْتِ !! جَلَسَتْ إلى جانِبِهِ تَخْدمُهُ وَتَسْهرُ عَلَيْهِ حانيةً متجلِّدةً تَدْعُو اللهَ وَتَبْتَهِلُ إليْهِ، وَيُهوِّنُ عليها رَسُولُ اللهِ الأَمْرَ بِقَوْلِهِ:

(وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بيتي لُحُوقاً بي). فَكَفْكَفَتْ دُمُوعَها، لكنَّ الوَجَعَ يَشْتَدُّ فتَقُولُ: واكربي لِكَرْبك يا أَبَتاهُ، فَيَرُدُّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ في عَطْفٍ وَحُنُوٍّ: لا كَرْبَ على أبيكِ بَعْدَ اليَوْمِ.

أَسْرَعُهُنَّ لحاقاً بِهِ

وَيُذْهِلُها المُصابُ الفادِحُ أخيراً، وَيَتْرُكُها الرَّسُولُ مِنْ

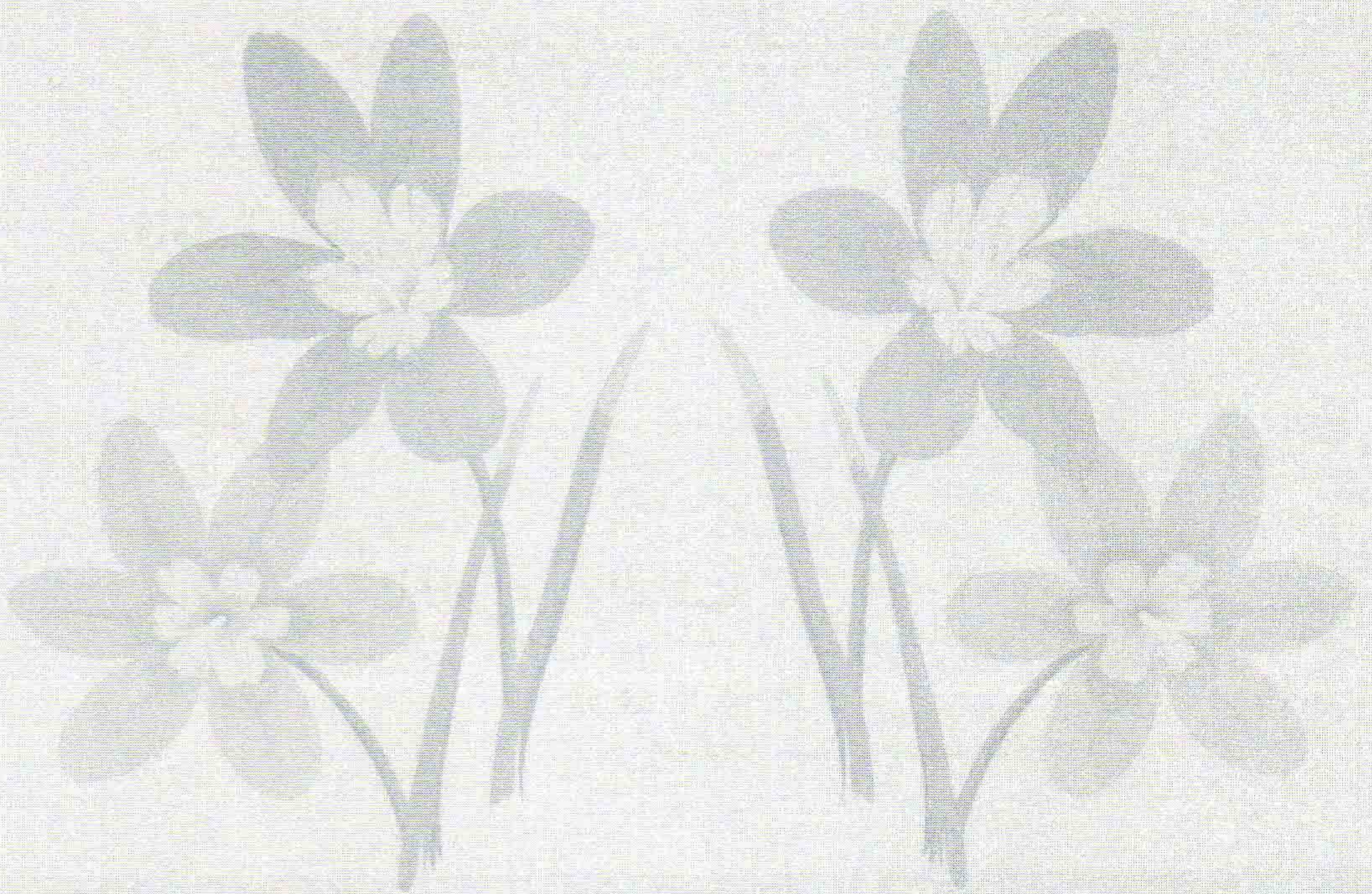
بَعْدِهِ يتيمةً حزينةً، لا تجدُ إلىٰ العَزاءِ سبيلاً، ما أَشَدَّ مُصَابها!. لَقَدْ شَهِدَتْ مَوْتَ أُمِّها وأخواتِها الثَّلاثِ وها هي ذي اليَوْمَ تَشْهَدُ وَفاةَ أبيها، فَمَتىٰ يجيءُ أجلُها يا تُرى؟

بَكَتْ وَبَكىٰ النَّاسُ لبكائِها أَمَامَ قَبْرِ الأَبِ الحبيبِ وَسَأَلُوهَا الصَّبْرَ الجميلَ.. وَلَمْ تَصْبِرْ طويلاً، وسُرْعَانَ ما لَحِقَتْ بأبيها، ففي يَوْمِ الاثنينِ مِنْ رَمَضانَ سنة إحْدَىٰ عَشْرَةَ، عَانَقَتْ أَوْلادَها، وَمَلأَتْ عَيْنَيْهَا من الحسن والحسين وأختيها، ثُمَّ وَدَّعَتْ زَوْجَهَا الذي احْتَمَلَها بَعْدَ مَوْتِها باكياً، وَدَفَنَها بالبَقيعِ، وَوَدَّعَهَا وعاد محزوناً إلىٰ صِغارِهِ وإلى بَيْتِهِ الموحِشِ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ محزونين بَعْدَ أَنْ شَيَّعُوا إلىٰ القبر آخِرَ بَنَاتِ النَّبيِّ ولما تَمْضِ ستةُ أَشْهُرٍ علىٰ وَفَاتِهِ ﷺ.

وَهكَذا.. ضَمَّها العالَمُ الآخرُ مَعَ أَحْبَابِها وَمَعَ أُمِّها وَإخْوتِها وأبيها، سَلامٌ عَلَيْها.. وصلاةٌ وَسَلامٌ على أَهْلِها أجمعين والحمدُ لله ربِّ العالمين.

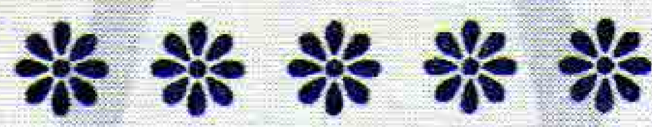
المحتوى

❋ ❋ ❋ ❋ ❋



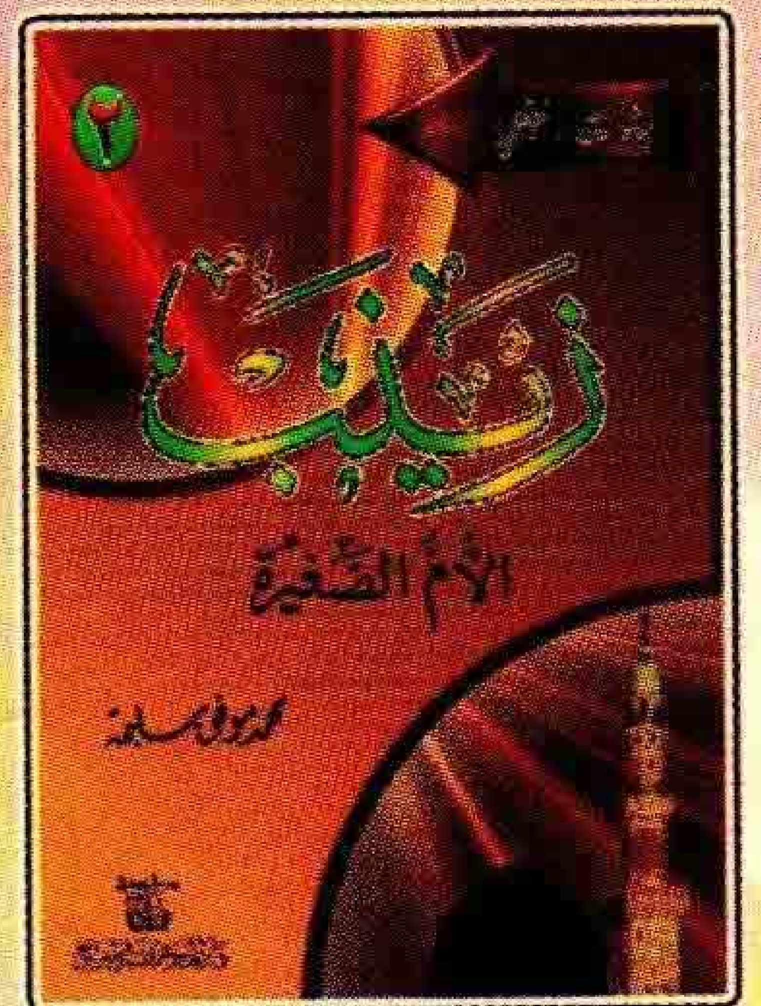
من منشورات دار الهدى للنشر والتوزيع للبراعم والناشئة

١ ـ تفسير البراعم المؤمنة	(١ ـ ٣٢)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٢ ـ قصص القرآن الكريم « مجزأ »	(١ ـ ٣٠)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٣ ـ قصص القرآن الكريم «مجلد»	(١ ـ ٣٠)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٤ ـ قصص السيرة النبويَّة « مجلد »	(١ ـ ٦٠)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٥ ـ أمهات المؤمنين « مجزأ »	(١ ـ ١٣)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٦ ـ أمهات المؤمنين « مجلد »	(١ ـ ١٣)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٧ ـ بنات النَّبيِّ ﷺ « مجزأ »	(١ ـ ٥)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٨ ـ بنات النَّبيِّ ﷺ « مجلد »	(١ ـ ٥)	للأستاذ محمد موفق سليمة
٩ ـ أنا أقرأ وأفهم كتاب الله « مجزأ »	(١ ـ ٨)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١٠ ـ سبعة يظلُّهم الله « مجزأ »	(١ ـ ٧)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١١ ـ حقُّ المسلم على المسلم « مجزأ »	(١ ـ ٦)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١٢ ـ حقُّ المسلم على المسلم « مجلد »	(١ ـ ٦)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١٣ ـ العشرة المبشّرون بالجنَّة « مجزأ »	(١ ـ ١٠)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١٤ ـ الوصايا العشر « مجزأ »	(١ ـ ١٠)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١٥ ـ السُّباعيَّة الرمضانيَّة « مجزأ »	(١ ـ ٧)	للأستاذ محمد موفق سليمة
١٦ ـ بعد مائدة الإفطار « مجزأ »	(١ ـ ٧)	للأستاذ محمد موفق سليمة



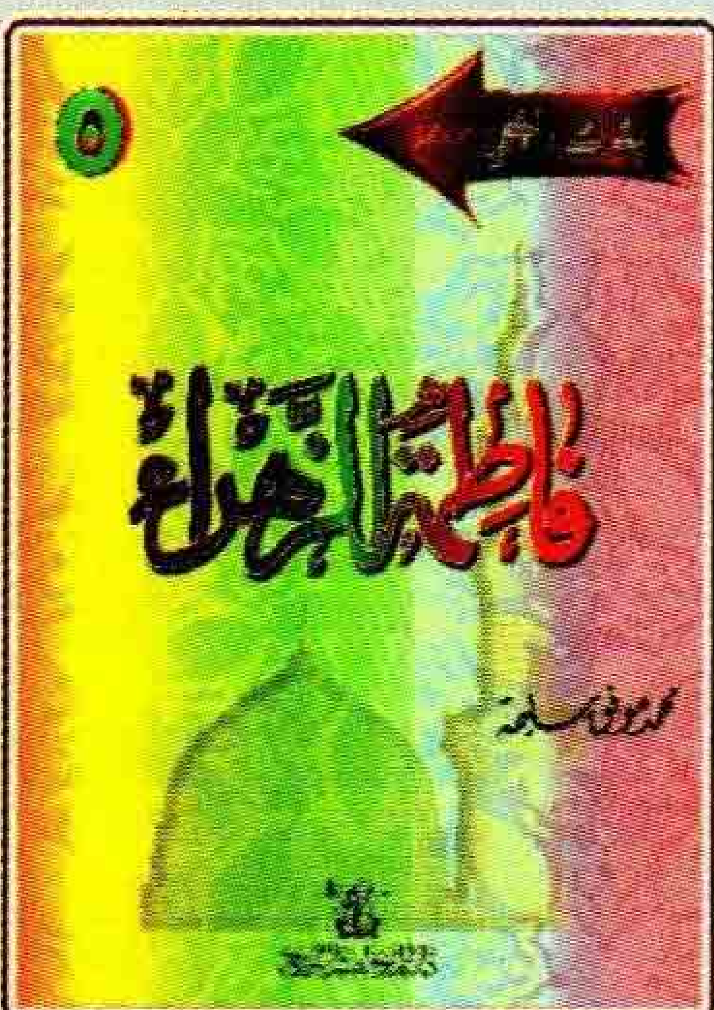
على أمل اللقاء قريباً مع أحبتنا البراعم والناشئة مع سلاسل جديدة ومفيدة إن شاء الله تعالى

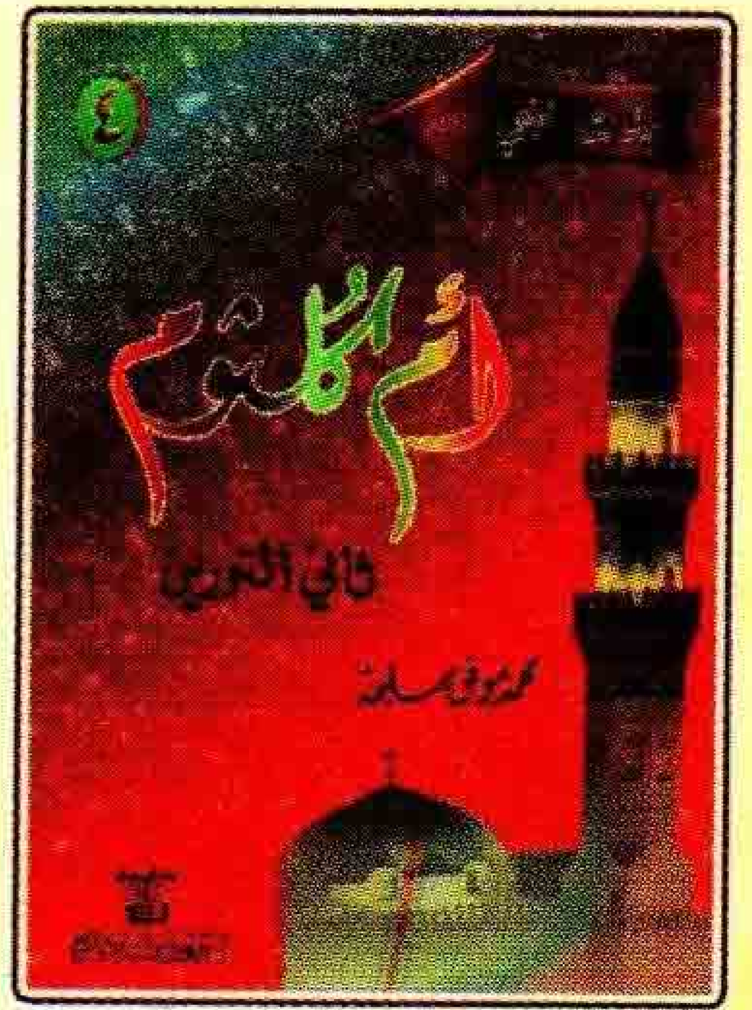




رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أبٌ كريمٌ لأربع بناتٍ كريمات، وفي مجموعتكم هذه يا أحبائي الصغار وضعت بين أيديكم حكايات طيبة كريمة فيها ملامحُ شخصية الأب الرسول، صورة أمينة لعاطفة الأبوّة ممثلة في شخص نبيٍّ أراد الله له أن يكون والداً في بيئة لم تعرف قبلَه حبّاً للإناث.

فإليكم أيها البراعم المؤمنة أقدم هذه القصص الحبيبة الجميلة ..







دار الهدى للنشر والتوزيع

السعودية - الرياض - ص.ب ٢٥٥٩٠ الرياض ١١٤٧٦

هاتف : ٤٧٧٧٥٤٤ / ٤٧٩٥٥١٧ - ناسوخ : ٤٧٧٦١٣٩

البريد الإلكتروني : daralhuda@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ وَالصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَوْمِ الدِّين.... وَبَعْدُ:

فَالسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

تَمَّ بِعَوْنِ اللهِ ثُمَّ بِمُساعَدَةِ نَفَرٍ مِن الإِخْوَةِ تَصْوِيرُ هذا الكِتابِ ومَجْمُوعِةٍ مِن الكُتُبِ الأُخْرَى, وأَعْرِفُ أَنَّ جَمِيعَ حُقُوقِ هذه الكُتُبِ مَحْفُوظَةٌ, ولكنْ عَزَمْتُ على تَصْوِيرِ هذه الكُتُبِ لِأَنَّها نادِرَةٌ في المكْتَبَاتِ وغَالِيَةٌ جِدًّا والحُصُولُ عَلَيْها صَعْبَةٌ. وأَرْجُو مِنْ نَاشِرِ هذه الكُتُبِ ومَنْ لَه حُقُوقُها أنْ يُسامِحَنِي. واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَإِنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ وعَلِيمٌ بِنِيَّتِي.

وَأَشْكُرُ كُلَّ مَنْ سَاعَدَنِي فِي هذا المشْرُوعِ. جَزَاكَ اللهُ خَيراً, وَأَطْعَمَكَ اللهُ طَيْراً, وَزَوَّجَكَ اللهُ بِكْراً, وَرَزَقَكَ اللهُ جُنْداً......

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1431هـ



لَا تَنْسَنَا فِيْ الدُّعَاءِ